الفصل الثالث

متابعة
عن قيامة الإنسان من الموت
ودخوله إلى الحياة الأبدية

182. حينما يكون الملائكة السماويون لدى الإنسان الناهض من بين الأموات لا يتركونه؛ لأنهم يحبّون كل إنسان. ولكن عندما تكون الروح التي وصلت لتوها، غير قادرة على البقاء في مجتمع الملائكة السماويين، فإنها تبتعد عنهم. وعندما يحصل هذا يأتي الملائكة الروحانيون ويمنحونه القدرة على رؤية النور؛ لأن الإنسان قبل ذلك لا يرى، بل يفكر فقط.

183. وقد أُريت كيف يعمل هؤلاء الملائكة. فهم يبدون كأنهم يرفعون الغشاوة عن العين اليسرى نحو قصبة الأنف، لكي تفتح العين وتستطيع رؤية النور. ويُهيَّأ للإنسان أن الأمور تجري هكذا في واقع الأمر، بيد أنه مجرد خداع نظر.

184. فبعد أن ترفع الغشاوة يبدأ الإنسان يرى نوراً شاحباً كذلك الذي يراه عبر جفنيه عندما يستيقظ في الصباح. ويستقر الإنسان في حالة من السكون التام؛ لأنه لا يزال تحت حراسة الملائكة السماويين. ثم يظهر ما يشبه الظل الأزرق السماوي اللون مع نجمة ليست كبيرة، لكنني علمت أن هذا يحصل بصور مختلفة.

185. وتشعر بعد ذلك كأن شيئاً ما يرفع عن وجهك بحذر ورقة، ثم يمنح الإنسان الإدراك الحسي. ويولي الملائكة اهتماماً خاصاً؛ لكي لا تنشأ لدى الناهض أي أفكار سوى تلك النابعة من المحبة، وعندئذٍ يعلمونه أنه روح.

obeikandl.com

186. ومن هذه اللحظة تبدأ حياته. وتكون هذه في الأول مليئة بالغبطة والسرور؛ لأنه يدرك أنه دخل الحياة الأبدية. ويتمثل هذا في نور أبيض ساطع يكتسب صبغة ذهبية بديعة تعني بداية حياته، أي أنها باتت تعد حياة سماوية، وكذلك روحية.

187. ثم يقبل في مجتمع الأرواح الطيبة، وهو ما يتمثل في فتى يمتطي صهوة حصان متجه إلى جهنم، لكن الحصان عاجز عن أن يخطو خطوة واحدة. ويظهر الإنسان شاباً؛ لأنه لحظة دخوله الحياة الأبدية يجد نفسه بين الملائكة فيُهيَّأ له أنه في قمة ازدهار شبابه.

188. وتتمثّل حالة حياته الأخرى في نزوله عن صهوة الحصان وتحركه مشياً على قدميه؛ لأنه يعجز عن جعل الحصان يتحرك من مكانه. عندئذٍ يلهم بأنه ينبغي عليه أن يتفقه في معارف الخير والحق.

189. ثم تمتد أمام ناظريه ممرات تصعد نحو الأعلى رويداً رويداً، وهي تعني أنه ينبغي عليه أن يمضي إلى السماء رويداً رويداً عبر معرفة الخير والحق والاعتراف بهما؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى هناك من غير مثل هذا الإقرار ومعرفة الخير والشر. ويجد القارئ تتمة هذا في خاتمة هذا الإصحاح.

تكوين 3: 1_13

1. وكانت الحية أَحْيَلُ جميع وحوش البرية التي صنعها الرب الإله. فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟

2. فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل.

3. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه كيلا تموتا،

4. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا،

5. إنما الله عالم إنكما في يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر.

6. ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون، وأن الشجرة منية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت بعلها أيضاً، فأكل.

7. فانفتحت أعينهما، فعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر.

8. فسمعا صوت الرب الإله وهو متمش في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة.

9. فنادى الرب الإله آدم، وقال: أين أنت؟

10. قال: إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت؛ لأني عريان فاختبأت.

11. قال: فمن أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها؟

12. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

13. فقال الرب الإله للمرأة: ماذا فعلت؟ فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلت.

obeikandl.com

المحتوى

190. يجري الحديث عن الحالة الثالثة للكنيسة الأولى التي مال قلبها نحو الذات إلى حد حبها لها.

191. وبما أنه بسبب حب الذات، أي بسبب حبهما نفسه، تراجع آدم وحواء عن الإيمان بما لا يدركه الإحساس الخارجي؛ لذلك تمثل الإحساس «حية»، وحب الذات أو حبهما نفسه «امرأة»، بينما تمثلت البصيرة «رجلاً».

192. ومن هنا أقنعت «الحية»، أو الإحساس، المرأة بأن تجرّب ما إذا كانت الأشياء التي تخص الإيمان بالرب هكذا فعلاً، وهو ما أشير إليه بالكلمات: «يأكل من شجرة المعرفة». وأشير إلى الموافقة التي أعطتها «البصيرة» بكلمة «أكل» (الآيات 1-6).

193. لكن ما تبقى لهما من الإدراك الحسي جعلهما يدركان أنهما باتا الآن مقيميْن في الشر، وهذا ما أشير إليه بالكلمات: «فانفتحت أعينهما» و«سمعا صوت الرب الإله» (الآيتان 7، 8)، و«خاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر» (الآية 7)، واختبأا خجلاً بين شجر الجنة (الآيتان 8، 9). ويدل اعترافهما بندمهما على ما فعلاه، على أن نعمة البر الفطري كانت لا تزال باقية فيهما.

المغزى المكنون

194. (الآية 1). وكانت الحية أحيَل وحوش البرية التي صنعها الرب الإله. فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟

إن المقصود «بالحية» هنا، هو عنصر الإحساس لدى الإنسان، وهو العنصر الذي يؤمن به؛ و«وحوش البرية»، هي كل شعور يخص الإنسان الخارجي؛ و«المرأة» ذات الإنسان. أما كلمات الحية: «أيقيناً قال الله: لا تأكلا من شجر الجنة»؟ فهي تعني أنهما قد جربا الشك لأول مرة. وهنا يجري الحديث عن الجيل الثالث من أحفاد الكنيسة الأولى الذين لم يؤمنوا بالوحي، ما لم يروا بأم أعينهم، ويدركوا بإحساسهم أن الأمر هكذا فعلاً. وقد وصفت حالة شكهم الأولى في هذه الآية والآية التي تليها.

195. ولم يكن الأقدمون يقارنون، بل أطلقوا أسماء الحيوانات والطيور على كل ما هو في الإنسان؛ وقد كان ذلك هو أسلوب كلامهم الذي لم يتغير حتى في مرحلة ما بعد الطوفان؛ إذ بقي لدى الأنبياء. فدعوا مبادئ الإحساس في الإنسان «أفاعي»؛ لأن هذه قريبة من الأرض ومثلها مبادئ الإحساس قريبة من الجسد. ولذلك دعيت المحاكمات الذهنية عن أسرار الإيمان، والتي قامت على أساس البراهين الحسية، «أفاع سامة»، ودعي أصحاب تلك المحاكمات «ثعابين»، ولأن مثل هؤلاء ينظّرون كثيراً وفق معطيات شعورهم، أي وفق الظواهر المرئية (= الأشياء الزمنية، والجسدية، وأشياء الطبيعة)؛ لذلك قيل: «كانت الحية أحيل جميع وحوش البرية».

2. ونحن نقف على مثل هذا عند داود؛ إذ يجري الحديث عن أولئك الذين يقودون الإنسان إلى الضلال بمحاكماتهم الذهنية:

سنوا ألسنتهم كالحية. سم الأفعى تحت شفاههم.

(مزامير 139: 4).

وقال أيضاً:

قد زاغ المنافقون من الحشا. ضلوا من البطن متكلمين بالكذب. لهم سم كسم الحية، كالأفعى الصماء التي تسد أذنها فلا تسمع صوت الحواة...

(مزامير. 57: 4-6).

ومثل هذه المحاكمات تجعل صاحبها عاجزاً عن سماع ما يقوله الحكيم، ولذلك دُعيت هنا «سم الحية». ومن هنا جاء تعبير الأقدمين: «الحية تسد الأذن». يقول عاموس:

كما إذا هرب إنسان من وجه الأسد فلقيه الدب، أو دخل البيت وأسند يده إلى الحائط فلسعته حية. أليس يوم الرب ظلمة، لا نور؟ بل هو ديجور لا ضياء له.

(عاموس. 5: 19، 20).

إن تعبير «أسند يده إلى الحائط»، يعني في هذا السياق، القوة الذاتية والثقة بالتأكيدات الحسية التي ينشأ عنها العمى الذي جاء وصفه هنا.

3. يقول إرميا:

صوتها كالحية يسري؛ لأنهم زاحفون بجيشهم وآتون عليها بفؤوس كحاطبيّ الأشجار. قد قطعوا غابها يقول الرب، وإن كان لا يُستقصى؛ لأنهم أكثر من الجراد حتى لا عدد لهم. قد أخزيت بنت مصر وجعلت في أيدي شعب الشمال.

(مزامير. 46: 22-24).

ومصر تعني هنا المحاكمات الذهنية عن الأشياء الإلهية، القائمة على أساس المعطيات الحسية والعلمية. وقد دُعيت مثل هذه المحاكمات «صوت الحية»، ودُعي العمى الناشئ نتيجة لذلك، «شعب الشمال». ويقول أيوب:

رضع سم الأصلال فقتله لسان الأفعى. لا يرى مجاري أنهاراً، ولا سيولاً من عسل وزبدٍ.

(أيوب. 20: 16، 17).

إن «أنهار العسل والزبد» تعني هنا الأشياء الروحية والسماوية التي لا يمكن رؤيتها بمحاكمات عادية؛ وقد دُعيت هذه المحاكمات «سم الأصلال» و«لسان الأفعى».

196. في الأزمنة القديمة كان الذين يثقون بالبراهين الحسية أكثر من ثقتهم بالوحي، يدعون «أفاعي». ولكن الحالة في أيامنا هذه أكثر سوء؛ لأنه ثمة الآن من لا يكتفي بعدم إيمانه إلا بما يرى أو يحس، بل ويؤكد على أنه ثمة في عدم الإيمان هذا معارف كان القدماء يجهلونها، وهم إذ يتصرّفون على هذا النحو يزدادون عمهاً. ولكي نبين أن الذين يستخلصون خلاصاتهم عن الأشياء السماوية على أساس الأحاسيس والمعارف، والحجج الفلسفية، إنما يزدادون بذلك عمى، ولا يرون ولا يسمعون شيئاً، بل يصبحون أفاع صماء، بل قل: أفاع طائرة أكثر فتكاً ورد الحديث عنها في الكتاب المقدّس، نقول لكي نبين هذا: نورد مثالاً عن كيفية تفكيرهم بصدد الروح.

2. فمن لا يصدق سوى أحاسيسه، ينكر وجود الروح؛ لأنه لا يستطيع أن يراه. وهو يقول: «إنه غير موجود؛ لأنني لا أشعر به، وما أراه وألمسه، أعرف أنه موجود». ويقول الإنسان العلمي، أو الذي يصوغ خلاصاته على أساس المعارف العلمية: «ما هو الروح إن لم يكن التنفس أو دفء الحياة، أو شيء ما آخر معروف للعلم، شيء مما يندثر عندما تدنو نهايته؟ أليس للحيوانات أجساد وأحاسيس وشيء ما يشبه البصيرة أيضاً؟ مع أنهم يقولون: إن هذه تموت، بينما، روح الإنسان، ، ينبغي أن يعيش. وعلى هذا النحو يرفضون وجود الروح.

3. ويتحدث الفلاسفة الذين يريدون أن يكونوا أكثر تفنناً من الآخرين، عن الروح بمصطلحات لا يفهمونها هم أنفسهم؛ لأنهم يجادلون فيها مؤكدين أنه يمكن أن يستخدم لدى الحديث عن الروح أي تعبير مشتق من شيء ما مادي، أو عضوي، أو فضائي؛ وعلى هذا النحو فإنهم حين ينظّرون عنه يغرقون في أفكارهم إلى درجة أنه يختفي بالنسبة إليهم تماماً ويتحول إلى لا شيء. ولكن الأكثر تبصراً بينهم يؤكدون مع ذلك، أن الروح هو فكرة؛ إلا أن محاكماتهم عن الفكرة تفصل عنها بعد ذلك كل ماهية، ثم يستنتجون أن الفكرة ينبغي أن تندثر عندما يموت

الجسد. وهكذا فإن الذين ينظّرون وفق الشعور، والمعرفة، والفلسفة، ينكرون وجود الروح، ولذلك لا يؤمنون بأي شيء مما قيل عن الروح والأشياء الروحية. ولكنك إذا سألت أصحاب القلوب البسيطة الطيبة، فإنهم يقولون لك: إنهم يعرفون أن الروح موجود؛ لأن الرب قال: إنهم سوف يعيشون بعد الموت؛ وهكذا فإن هؤلاء لا يدمرون بصيرتهم؛ بل يحيونها بكلمة الرب.

197. إن «الحية» تعني عند الأقدمين الذين كانوا أناساً سماويين، اليقظة والحذر، كما تعني كذلك الإدراك الحسي الذي كانوا يظهرون يقظتهم عبره لكي يتفادوا الأذى الذي يتسبب به الشر. ويتضح معنى «الحية» هذا مما قاله الرب لتلامذته:

ها أنا مرسلكم مثل خراف بين ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام.

(متى.. 10: 16).

وإذا ما عدنا إلى «الحية النحاسية» التي رفعت في الصحراء، فإنها كانت تعني بدورها إدراك الرب إدراكاً حسياً، فهو وحده الإنسان السماوي، وهو وحده الذي يهتم بالكل ويولي عنايته كل شيء، ولذلك فإن كل من يتطلع إليه ينجو.

198. **(الآيتان 2، 3). فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا.**

أن «ثمر شجر الجنة»، هو الخير والحق الذي أظهره الرب للكنيسة الأولى؛ و«ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، والتي ينبغي ألا يأكلا منه»، يعني حقيقة الإيمان وخيره اللذين كان ينبغي عليهما ألا يتعلما. هما بنفسيهما؛ أما كلمة: «ولا تمساه» فهي تعني ألا يتفكرا في حقيقة الإيمان وخيره من تلقاء نفسيهما، أي وفق معطيات الإحساس والعلم؛ ومعنى «كيلا تموتا»، هو ألا يهلك بذلك الإيمان، أي كل حكمة وعقل.

199. وكون «ثمر الشجر الذي كان يمكنهما أن يأكلا منه» يعني الخير وحقيقة الإيمان الذي كشف الرب عنهما للكنيسة الأولى، هو أمر واضح من قوله: «ثمر شجر الجنة» التي كان يمكنهما أن يأكلا منه، وليس «شجرة الجنة»، كما من قبل عندما جرى الحديث عن الإنسان السماوي، أو الكنيسة الأولى (تكوين. 2: 16). «فشجرة الجنة» كما قيل هناك، تعني الإدراك الحسي للخير والحق، وبما أن الخير والحق يصدران عنها، فقد دعيا «ثمرة»، وهذا هو معناهما في الكتاب.

200. لقد قيل هنا: إن «شجرة المعرفة» تقع «في وسط الجنة»، مع أنه قيل قبل ذلك (تكوين. 2: 9): إن شجرة الحياة هي التي تقع في وسط الجنة وليس شجرة المعرفة؛ لأن «وسط» الجنة يعني المكنون، الخفي. وكان مكنون الإنسان السماوي، أو الكنيسة الأولى، هو «شجرة الحياة» التي هي جوهر المحبة والإيمان النابع منها؛ بينما كان «وسط» الجنة، أو المكنون، هو الإيمان عند الأجيال التالية، أي عند الناس الذين يمكن أن ندعوهم سماويين - روحيين. ولا يمكن أن نصف بتفصيل أكثر سمات الناس الذين عاشوا في ذلك الزمن السحيق؛ لأن هذا الأخير غير معروف لنا قطّ (إذن ما هو مدى مصداقية إدعاء المؤلف بأنه تواصل مع الأرواح والملائكة وعايشهم لوقت ما؟ - م)، وطبيعة أولئك الناس كانت مختلفة كلياً عن تلك التي يمكن أن نراها الآن. ولكن لكي نرسم بعض التصور عن طبيعتهم تلك، يمكننا أن نقول: إنهم بالخير أدركوا الحقيقة أو بالمحبة عرفوا ما هو نابع من الإيمان. ولكن بعد أن اندثر هذا الجيل حل محله جيل آخر ذو طبيعة مغايرة تماماً؛ لأنهم ما عادوا الآن يدركون الحقيقة بالخير، أو ما ينتمي إلى الإيمان بالمحبة، وبدلاً من هذا اكتسبوا المعارف عن الخير بوساطة الحقيقة أو المعارف عن المحبة بمعارف الإيمان، ولم يكن أكثرهم يمتلك سوى المعارف (وهل هذه نقيصة تسبب لصاحبها العار وتجعل منه كافراً؟ - م). تلكم كانت هي التغيرات التي حصلت بعد الطوفان لتفادي انهيار العالم.

201. وبما أنه لا يوجد في هذه الأيام مثل هذا الضرب من ضروب المواقف التي كانت للأقدمين قبل الطوفان، فإنه من الصعب أن نشرح المقصود بالمغزى المكنون لهذه الكلمات. ولكن الأمر واضح تماماً لملائكة السماء والأرواح

الملائكية الذين لهم الطبيعة نفسها التي كانت للناس الأوائل الذين بُعثوا قبل الطوفان؛ بينما الملائكة والأرواح الملائكية المدعوون روحانيين يشبهون بطبيعتهم الناس الذين بُعثوا بعد الطوفان، مع أنه ثمة في الحالتين تنوّع لا متناه.

202. ولم يقتصر الأمر على عدم السماح للكنيسة الأولى التي كانت إنساناً سماوياً، بان تأكل من ثمر شجرة المعرفة، أي أن تعرف ما يخص الإيمان بوساطة الشعور والعلم وحسب، بل حرّم عليها حتى أن تلمس هذه الشجرة، أي حرّم عليها أن تتفكر في مسائل الإيمان اعتماداً عل المرئيات الحسية والحقائق العلمية، كي لا تهبط من الحياة السماوية إلى الحياة الروحية، ثم إلى ما بعد ذلك نزولاً. وتلكم هي حياة الملائكة السماويين، ومن يعد منهم أكثر سماوية في داخله، حرّم عليه مجرد التذكير بالإيمان أو بأي شيء روحاني آخر؛ وإذا كان الآخرون يتحدثون عن هذا، فإنهم بدلاً من الإيمان يدركون المحبة بفارق لا يعرفه سواهم؛ وعلى هذا النحو فإنهم يستخرجون من المحبة والرأفة كل ما يخص الإيمان. ضف إلى هذا أن قدرتهم على تحمل أي محاكمات ذهنية عن الإيمان، هي أضعف، ولا يطيقون أي شيء عن هذا يأتي من المعارف العلمية؛ لأنهم يمتلكون من الرب عبر المحبة، الإدراك الحسي، أي الخير والحق، وعبر هذا الإدراك الحسي يعرفون فوراً ما إذا كان الأمر هكذا حقاً أم لا. ولذلك فإنه عندما يقال أي شيء عن الإيمان فإنهم يجيبون ببساطة: إن الأمر هكذا، أو: إن الأمر ليس كذلك؛ لأنهم يعرفون ذلك من الرب. يقول الرب في إنجيل متى:

ولكن ليكن كلامكم: نعم، نعم، ولا، لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

(متى.. 5: 37).

لقد بات واضحاً الآن لماذا لم يسمح لهما بلمس ثمر شجرة المعرفة، فلو لمساه لوقعا في الشر، أي لماتا في نهاية المطاف. ولكن الملائكة السماويين مثلهم مثل الملائكة الآخرين، يتواصلون حول قضايا مختلفة، ويجري تواصلهم هذا باللغة السماوية التي تشكلت ونشأت من المحبة، وهي لغة ليست أكثر تعبيرية من لغة الملائكة الروحيين.

203. أما الملائكة الروحيون فهم يتحدثون عن الإيمان، بل يبرهنون بالعقل والبصيرة والذاكرة على ما له علاقة بالإيمان، إلا أنهم لا يصوغون استنتاجاتهم في مسائل الإيمان على هذا الأساس أبداً، ومن يفعل ذلك يقع في الشر. وقد منح الرب هؤلاء أيضاً الإدراك الحسي لكل ما له علاقة بالإيمان، مع أن هذا الإدراك ليس كذاك الذي للملائكة السماويين. فالإدراك الحسي الذي لدى الملائكة الروحيين، هو ضرب من ضروب الضمير الذي يحييه الرب، ومع أنه يبدو شبيهاً بالإدراك الحسي السماوي، إلا أنه ليس كذلك، فهو إدراك حسّيّ روحي وحسب.

204. (الآيتان 4، 5). فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر.

إن معنى «في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما»، هو أنه إذا ما عالجا مسائل الإيمان وفق معطيات الشعور والعلم، أي من نفسيهما، فإنهما سوف يريان بوضوح أنها ليست كذلك. ومعنى «وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر»، هو أنهما إذا ما تصرفا على هذا النحو من نفسيهما، فإنهما سيكونان مثل الإله وسوف يكون بمقدورهما تسيير شؤونهما بنفسيهما.

205. إن كل آية تتعلق بحالة خاصة أو بتبدل حالة في الكنيسة: تفيد الآيات السابقة أنهما أدركا أن هذا النوع من السلوك محرّم، مع أنهما كانا يميلان إليه، أما في هاتين الآيتين فثمة وصف لبداية حالة الشك لديهما: هل هذا ممنوع عليهما؛ لأنهما يستطيعان على هذا النحو أن يريا؟ أحقاً ما سمعاه من الأقدمين؟ وهكذا تنفتح أعينهما. وأخيراً، بما أن حبهما لنفسيهما قد بدأ يسيطر عليهما، فقد باتا يفترضان أنهما قادران على أن يسلكا سلوكاً مستقلاً، وبذا يصيران كالرب؛ لأن تلك هي طبيعة حب الذات، فهي لا تريد أن تخضع للرب، بل تريد أن تقود نفسها بنفسها، وتلجأ إلى معطيات الشعور والعلم؛ لكي تعرف ما الذي يجب أن تؤمن به.

206. ومن أكثر اقتناعاً من الذين يحبون أنفسهم ويمتلكون في الوقت نفسه معارف زمنية، بأن أعينهما مفتوحة وإنهما كالرب يعرفان ما هو خير وما هو شر؟

ولكن من أكثر عمى من هؤلاء؟ فيكفي أن تسألهم فقط؛ لكي ترى أنهم لا يعرفون، بل حتى لا يؤمنون بوجود الروح؛ إنهم لا يعرفون أبداً أنه ثمة حياة روحية وسماوية؛ ولا يعترفون بالحياة الأبدية؛ لأنهم يؤمنون بأنهم بعد أن يموتوا لا يعود لهم وجود، كما هي حال الحيوانات؛ وهم لا يقرون بوجود الرب أبداً، فيسجدون لأنفسهم وللطبيعة وحسب. ومن منهم يريد أن يكون حذراً في تعابيره يقول: إن بعضاً من ماهية عليا لا يعرفون شيئاً عنها، هي التي تدير كل شيء.

2. تلك هي المبادئ الأساسية التي يتثبتون فيها بوسائل كثيرة عبر التجربة الحسية والمعارف العلمية؛ ولو تجرؤوا لأظهروها للعالم كله. ومع أن مثل هؤلاء الناس يتمنون لو اعترف بهم آلهة، أو أكثر الناس حكمة، إلا أنهم لو سُئلوا عن معنى ألاّ يكون ثمة شيء لدى الإنسان من ذاته، لأجابوا: إن معنى هذا هو ألاّ يكون الإنسان موجوداً أصلاً، وإنهم لو سُلبوا الذات لباتوا لا شيء. ولو سُئلوا ما معنى أن يكون عيش الإنسان من الرب، لعدوا ذلك مجرد خيال. ولو سألتهم عما إذا كانوا يعرفون ما هو الضمير، لقالوا: إنه مجرد ثمرة من ثمار الخيال التي يمكن أن تستخدم للإبقاء على الفئات الشعبية تحت السيطرة. ولو سألتهم عما إذا كانوا يعرفون ما هو الإدراك الحسي، لابتسموا وعدوه شيئاً ما من نمط الانفعال العاطفي. فتلكم هي حكمتهم، وتلكم هي «عيونهم المفتوحة»، وأولئك هم «الآلهة» الذين يعدون. وانطلاقاً من مبادئ تشبه هذه التي يرون فيها مبادئ واضحة كضوء النهار، يمضي هؤلاء إلى الأبعد، وعلى هذا النحو يتفكرون في أسرار الإيمان؛ وكيف يمكن أن تكون النتيجة سوى غيهب من الديجور؟ إن مثل هؤلاء يعدون أكثر من الآخرين كلهم، «أفاع» تدمر العالم. ولكن أحفاد الكنيسة الأولى هؤلاء، لم تكن قد باتت هذه طبيعتهم بعد. ولكن كيف أصبحوا كذلك، هذا ما تخبرنا به الآيات 14-19.

207. (الآية 6). ورأت المرأة أن الشجرة طيّبة للمأكل وشهية للعيون، وأن الشجرة منية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل.

إن معنى «طيبة للمأكل»، هو أنها شهية؛ و«شهية للعيون» معناها وهم؛ و«منية للعقل» معناها الغبطة والرضا. وتنتمي هذه التعابير إلى الذات، أو إلى المرأة. «فأعطت بعلها أيضاً معها فأكل» تعني موافقة البصيرة (المقطع 265).

208. هكذا كان الجيل الرابع من أحفاد الكنيسة الأولى، الذي أضلّه حبه لذاته. فلم يشأ أفراد هذا الجيل أن يؤمنوا بالوحي إذا لم يجدوا ما يؤكده عبر تجربتهم الحسية ومعارفهم العملية.

209. والتعابير المستخدمة هنا، مثل «كانت الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون، ومنية للعقل؛ لأنها تمنح المعرفة»، كانت تعابير متوافقة مع طبيعة الناس الذين عاشوا في ذلك الزمن السحيق؛ فهي تعابير تنتمي إلى مجال الإرادة؛ لأن شرها نشأ عن الإرادة. ولكن عندما يجري الحديث في الكتاب عن الناس الذين عاشوا بعد الطوفان، فإن مثل هذه التعابير لا تستخدم فيما يخص الإرادة بقدر استخدامها فيما يخص اليقين؛ لأن الأقدمين أدركوا الحق بالخير، أما الذين عاشوا بعد الطوفان، فقد أدركوا الخير بالحق.

210. فما هي ذات الإنسان إذن؟ إن ذات الإنسان تتكون من شتى ضروب الشر والباطل الناشئة عن حب الذات، والدنيا، وعدم الإيمان بالرب أو بكلمته، والإيمان بالذات، والقناعة بأنه ليس هناك ما لا يمكن إدراكه بالحواس الخارجية والعلم. وعلى هذا النحو يغدو الناس شراً مطلقاً وباطلاً مطلقاً، ولذلك يرون كل شيء على غير حقيقته. فيرون الشر خيراً، والخير شراً، والباطل حقاً، والحق باطلاً، والواقع وهماً، والوهم حقيقة. ويدعون الكره محبة، والظلام نوراً، والموت حياة، والعكس. وقد دُعي هؤلاء في الكتاب «عرج» و«عمي». إذن، تلكم هي ذات الإنسان التي تعدّ بحد ذاتها جهنمية وملعونة.

211. **(الآية 7). فانفتحت أعينهما فعلما أنهما عريانان.**

و«انفتحت أعينهما» تعني هنا، أنهما عرفا بإيحاء داخلي واعترفا بأنهما كانا «عريانين»، أي لم يعودا عفيفين بريئين كما كانا من قبل، بل باتا الآن في الشر.

212. ويتضح من تعابير مماثلة استخدمت في الكتاب، أن التعبير: «انفتحت أعينهما» يعني الإيحاء الداخلي؛ فقد قال بلعام عن نفسه على سبيل المثال، إنه «رجل مغلق العينين... رأى رؤيا القدير الذي يقع فتنفتح عيناه» (عدد 24: 3، 4). ولما أكل يوناثان من شهد العسل وأدرك في داخله أن ذلك كان شراً قال: «انظروا كيف انجلت عيناي»، أي انفتحت عيناه؛ لكي يرى ما لم يكن له علم به (ملوك أول. 14: 29). زد إلى هذا أن «العينين» غالباً ما تعنيان في الكتاب اليقين، الرؤية، أي الإيحاء الداخلي النابع منه. يقول داود:

انظر واستجب لي أيها الرب إلهي وأنر عيني؛ لئلا أنام نومة الموت.

(مزامير. 12: 4).

فالعينان هنا معناهما الرؤية. يقول حزقيال:

وكانت إلى كلمة الرب قائلاً: يا بن البشر أنت ساكن في وسط بيت تمرد، لهم عيون ليروا ولم يروا...

(حزقيال.. 12: 1، 2).

والكلام هنا عمن لم يشاؤوا أن يفهموا. ويقول أشعياء:

غلّظْ قلب هذا الشعب، وثقّلْ أذنيه، واغمضْ عينيه لئلا يبصر بعينيه..

(أشعياء. 6: 10).

ومعنى هذا أنهم عميت بصيرتهم، فلا يفهمون ولا يميزون. وقال موسى للشعب:

ولم يعطكم الرب قلوباً لتفهموا وعيوناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم.

(تثنية. 29: 4)

فالقلب يعني هنا الإرادة، والعيون تعني الفهم. وقد قيل عند أشعياء. عن الرب: «إنه يفتح العيون العمياء» (أشعياء. 42: 7). وفي نبوءة هذا النبي عينه:

... وتبصر عيون العمي بعد الديجور والظلام.

(أشعياء. 29: 18).

213. «وعرفا أنهما عريانان»، أي عرفا واعترفا أنهما لم يعودا عفيفين بريئين كما كانا من قبل، بل باتا في الشر. وهذا واضح تماماً في الآية الأخيرة من الإصحاح السابق؛ حيث قيل: «وكانا كلاهما عريانين، آدم وامرأته وهما لا يخجلان»، ويفهم من «عريانين» و«لا يخجلان» أنهما فارقا البراءة والعفة. والمعنى المغاير لهذا هو «الخجل»، كما ورد في هذه الآية عينها؛ إذ قيل: إنهما خاطا مآزر من أوراق التين واختبأا. وواقع الأمر، هو أنه عندما لا تكون هناك براءة وعفة يصبح العري خجلاً وعاراً؛ لأنهما يدركان أنهما يفكران تفكيراً رديئاً. ولهذا السبب تستخدم كلمة «عري» في الكتاب للدلالة على العار والشر، وتنتمي إلى الكنيسة الفاسدة، كما يقول حزقيال:

إذ كنتِ عريانة متجردة متلخطة بدمك.

(حزقيال.. 16: 22).

ويقول أيضاً:

ويتركونكِ عريانة متجردة.

(حزقيال.. 23: 29).

ويقول يوحنا:

فأنا أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار حتى تستغني، وثياباً بيضاً حتى تلبس ولا يظهر خزي عريتك.

(رؤيا يوحنا. 3: 18).

وجاء في سفر التثنية:

إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً ووجد فيها عرياً ما، فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته.

(تثنية. 24: 1).

ولهذا السبب عينه أُلزم هارون وأولاده بارتداء ملابس داخلية كتانية عندما يقتربون من المذبح لتأدية الخدمة؛ لكي «يغطّي العري من أبدانهم... لئلا يحملوا إثماً فيموتوا» (خروج. 28: 42، 43).

214. لقد دُعيا «عريانين» لأنهما تمثلاً في ذاتهما؛ لأن من يتمثل في ذاته لا يتوفر على أي عقل أو حكمة، أي يفقد الإيمان، بالتالي يسلب الحق والخير، ولذلك يقيم في الشر.

215. إن ذات الإنسان ليست شيئاً آخر سوى الشر والباطل. وأنا كنت قد استخلصت هذا من واقعة حديث الأرواح عن ذاتها، فكل حديث من هذا النوع وبصرف النظر عن زمن حدوثه، كان حديثاً شريراً وباطلاً إلى درجة أنه في كل مرة منحت فيها نعمة معرفة أنها تتحدث عن ذاتها، كنت في اللحظة عينها أعرف أن ذلك كان باطلاً، على الرغم من أن الأرواح كانت على قناعة مطلقة بصدق ما كانت تتحدث عنه. والأمر عينه يقع للبشر الذين يتحدثون عن أنفسهم. وعلى هذا النحو أعطيت أن أعرف أنه في كل مرة يأخذ الناس فيها بمناقشة المسائل الروحية ومسائل الحياة السماوية أو المسائل المتعلقة بالإيمان، فإنهم يشكّون أو يرفضون هذه المسائل؛ لأن مناقشة مسائل الإيمان بحد ذاتها تعني أنك تشك وترفض. وبما أن نقاشهم صادر عن ذاتهم، فإنهم يستغرقون في الباطل المطلق، بالتالي في ظلام دامس مخيف، أي في ظلام الباطل الكامل. وهم إذ يستقرون في هذه اللجة، فإن أي اعتراض مهما قل شأنه، يتغلب على ألف حقيقة، مثلما تعيق ذرة الغبار التي تستقر في العين، رؤية الكون كله. وقد قال الرب عن مثل هؤلاء:

ويل للذين هم حكماء في أعين أنفسهم، عقلاء أمام وجوههم.

(أشعياء. 5: 21).

ويقول أيضاً:

إن حكمتك وعلمك هما أزاغاك فقلت في قلبك: أنا وليس غيري. فسيأتي عليك شر لا تعلمين بفجره، وتدهمك داهية لا تستطيعين درأها، ويأتي عليك بغتة عطب لا تعرفين عنه.

(أشعياء. 47: 10).

ونقرأ لدى إرميا:

كل بشر من العلم صار بليداً، وكل صائغ خزي بالتمثال؛ لأن مسبوكه زور لا روح فيه.

(مزامير 51: 17)

«فالتمثال» يعني الباطل، وهو ينتمي إلى الذات، والصنم يعني الشر، وهو ينتمي إليها أيضاً.

216. **«فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر».**

إن «خياطة الأوراق» تعني الاعتذار؛ و«التينة» خير الطبيعة؛ وصنعا لنفسيهما مآزر، تعني أنهما أحسّا بالخجل. هكذا قال القدماء، وهكذا وصفوا الأمر لأحفاد الكنيسة مشيرين إلى أنه بدلاً من البراءة التي كانت لهما قبل ذلك، لم يبق لهما سوى خير الطبيعة الذي استتر به شرهما، وإنهما إذ استقرا في خير الطبيعة، أحسا بالخجل.

217. ومن غير المعروف في وقتنا الحاضر أبداً، أن «الكرمة» تعني حسب الكتاب، الخير الروحي، بينما تعني «التينة» خير الطبيعة؛ لأن المغزى المكنون للكتاب فُقد. ولكن أينما نقرأ هاتين الكلمتين، فإنهما تعنيان أو تحتويان على هذا المعنى؛ ففي الأمثلة التي ساقها الرب لدى متى. في إنجيله نقرأ الآتي:

فرأى شجرة تين على الطريق فدنا إليها فلم يجد فيها إلا ورقاً فقط.

فقال لها: لا تكن فيك ثمرة إلى الأبد. فيبست التينة من ساعتها.

(متى.. 21: 19).

ومعنى هذا أنه لم يعثر على أي خير على الأرض، بما في ذلك خير الطبيعة. و«للكرمة» و«التينة» المغزى عينه لدى إرميا:

ألعلهم خزوا إذ قد اقترفوا رجساً؟ بل لم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل... سأبيدهم إبادة، يقول الرب، لا عنب في الجفنة، ولا تين في التينة.

(مزامير 8: 12، 13).

ومعنى هذا أن كل خير قد تلف، الخير الروحي وخير الطبيعة؛ لأن الناس فسدوا إلى درجة فقدوا عندها حتى الإحساس بالخجل، مثلما هي الحال في أيامنا هذه، حيث فقد المقيمون في الشر شعور الخجل بآثامهم، بل إنهم يفاخرون بها. يقول هوشع:

إني وجدت إسرائيل كعنب في البرية، كالباكورة في التين أول أو أوانها. لقد رأيت آباءكم، لكنهم دخلوا إلى بعل فغور ونذروا أنفسهم للخزي، فصاروا أرجاساً كأحبابهم.

(هوشع. 9: 10).

ويقول يوئيل:

لا تخافي يا بهائم الصحراء فإن مراتع البرية قد نبتت، والشجر أنشأ ثمره، والتين والكرمة بذلا قوتهما:

(يوئيل. 2: 22).

فالكرمة تعني الخير الروحي، والتينة الخير الطبيعي.

218. (الآية 8). فسمعا صوت الرب الإله وهو متمش في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة.

إن «صوت الرب الإله الذي يقترب منهما في الجنة»، هو الصوت الداخلي الذي أثار فيهما شعور الخوف؛ فقد كان هذا الصوت، هو بقايا الإدراك الحسي الذي كانا يملكانه. أما نسيم النهار فهو يعني الزمن الذي كانت الكنيسة لا تزال تملك فيه شيئاً من بقايا الإدراك الحسي. ويعني «الاختباء من وجه الرب الإله»، الخوف من تقريع الضمير، وهو ما يقع عادة لأولئك الذين يعرفون أنهم يتصرفون برعونة. وليس «فيما بين شجر الجنة» حيث اختبأ، سوى خير الطبيعة؛ ويدعى «الوسط» مكنوناً. وتعني «الشجرة» الإدراك الحسي؛ ولكن بما أنه لم يبق لديهما سوى قليل من الإدراك الحسي، لذلك استخدمت الشجرة بصيغة المفرد للدلالة على أن ذلك ليس سوى بقايا وحسب.

219. إن «صوت الرب الإله الذي كان يقترب منهما في الجنة»، هو الإيحاء الداخلي الذي خافا منه. وهذا واضح من مدلول كلمة «صوت» في الكتاب؛ إذ يدل «صوت الرب الإله» هناك على الكتاب نفسه، على تعاليم الإيمان، على الضمير أو القناعة الداخلية المسبقة، كما يدل على كل لوم يصدر من هناك. ولهذا تُدعى الرعود «أصوات الرب الإله»، كما عند يوحنا:

وصرخ بصوت عظيم كأنه أسد يزأر، ولما صرخ تكلمت الرعود السبعة بأصواتها.

(رؤيا يوحنا. 10: 3).

ومعنى هذا أن الصوت كان خارجياً مثلما هو داخلي. فقد جاء في الكتاب عينه:

بل في أيام صوت الملاك السابع، متى. أزمع أن ينفخ في البوق، يتم سر الله.

(رؤيا يوحنا. 10: 7)

ويقول داود:

يا ممالك الأرض رنّموا لله أشيدوا للسيد. سلاه. للراكب على سماء السموات منذ القدم. ها إنه يجهر بصوته، صوت العزة.

(مزامير. 67: 33، 34).

ومعنى «سماء السموات منذ القدم»، هو حكمة الكنيسة الأولى؛ أما «الصوت» فهو يعني الرؤيا، كما يعني أيضاً الإرادة الداخلية. وأيضاً:

صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. صوت الرب قوي. صوت الرب عظيم. صوت الرب يكسر الأرز. صوت الرب يقدح لهب نار. صوت الرب يزلزل البرية. صوت الرب يولّد الأيل ويكشف الوعور.

(مزامير. 29: 3-5، 7-9)

ويقول أشعياء:

ويسمّع الرب جلال صوته ويري نزول ذراعه بهيجان غضب ولهيب نار آكلة... لأنه صوت الرب يرتاع آشور. بالقضيب يضرب.

(أشعياء. 30: 30، 31).

220. ويعني «الصوت الذي يدنو منهما»، أنه لم يبق لديهما سوى قليل من الإدراك الحسي، وهذا القليل قليل إلى درجة أن هذا الإدراك بدا نائياً وغير واضح. وهذا الأمر واضح أيضاً من الآية التالية التي تقول: «فنادى الرب الإله آدم».

ويقول أشعياء:

صوت صارخ في البرية... صوت قائل: ناد

(أشعياء. 40: 3، 6).

وتعني «البرية» هنا الكنيسة، حيث لا يوجد أي إيمان. أما الصوت الصارخ، فهو إعلان عن مجيء الرب، كما لدى الإنسان المتجدد الذي له صوت داخلي.

221. ومعنى «نسيم النهار»، هو الزمن الذي كانت لا تزال الكنيسة تتوفر فيه على بقية من الإدراك الحسي، وهذا واضح من مدلول كلمة «نهار» ومدلول كلمة «ليل». فالأوائل قارنوا حالة الكنيسة بأوقات النهار والليل. فالحالات التي كانت الكنيسة لا تزال فيها مقيمة في النور، قورنت بأوقات النهار، ولذلك ورد الحديث في هذه الآية عن نسيم «النهار»؛ لأن الإنسان كان لا يزال يمتلك شيئاً من بقايا الإدراك الحسي، الذي كان يمكن أن يمكّنه من أن يعرف أنه سقط. وقد دعا الرب حالة الإيمان «نهاراً» وحالة عدم الإيمان «ليلاً». يقول يوحنا:

ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني، ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل.

(يوحنا. 9: 4).

ولذلك دُعيت حالات تجدّد الإنسان المتوالية «نهارات» (الإصحاح الأول).

222. ويدل «الاختباء من وجه الرب الإله»، على الخوف من عذاب الضمير، وهي الحالة التي يعيشها عادة من يدرك أنه اقترف إثماً، وهذا ما يتضح من إجابتهما (الآية 10): «إني سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان». و«وجه الرب الإله»، هو الرحمة والسلام وكل ما هو خير:

يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً.

(عدد. 6: 25، 26).

ويقول داود:

يا إلهي! تحنن علينا وباركنا، وأنر بوجهك علينا.

(مزامير. 66: 1).

ويقول في مزامير آخر:

كثيرون يقولون: من يرينا خيراً؟ ارفع علينا نور وجهك يا رب.

(مزامير. 4: 6).

ولذلك دُعيت رحمته «ملاك وجهه». يقول أشعياء:

إحسانات الرب اذكر، والخير العظيم لبيت إسرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته. وقد قال حقاً: إنهم شعبي، بنون لا يخونون، فصار لهم مخلّصاً. في كل ضيق تضايق، وملاك وجهه خلّصهم. بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم...

(أشعياء. 63: 7-9).

223. وبما أن «وجه الرب الإله»، هو الرحمة، والسلام، وكل خير، فإنه من الواضح أنه ينظر إلى جميعهم برحمته، ولا يحوّل وجهه عن أي كان؛ ولكن الذي يقيم في الشر هو الذي يحوّل وجهه. يقول الرب في سفر أشعياء:

لكن آثامكم فرقت بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم حجبت وجهه عنكم...

(أشعياء. 59: 2).

والأمر عينه حصل هنا عندما «اختبأا من وجه الرب الإله لأنهما كانا عريانين».

224. إن الرحمة والسلام وكل خير، وهم «وجه الرب الإله»، ينتجون الإيحاء الداخلي لدى الذين يتوفرون على الإدراك الحسي، والذين يملكون ضميراً، وإنْ بوسيلة أخرى. فتأثير هذه القيم الثلاث يتسم بالرحمة دوماً، إلا أنه يدرك وفق الحالة التي يكون الإنسان فيها. وحالة الإنسان التي يجري الحديث عنها هنا، تمثّلت في الخير الطبيعي؛ أما الذين كانوا في حالة الخير الطبيعي، فقد كانوا يسعون إلى الاختباء خوفاً وخجلاً بسبب عريهم، بينما المحرومون من الخير الطبيعي لا يختبئون؛ لأنهم لا يحسون بالخجل. وكان إرميا. قد تحدث عن هؤلاء. انظر إرميا. 8: 12، 13.

225. ومعنى «وسط شجرة الجنة»، هو الخير الطبيعي الذي فيه بعض من الإدراك الحسي المدعو «شجرة»؛ وهذا واضح كذلك من «الجنة» التي كان يقيم الإنسان السماوي فيها؛ لأن كل خير وحق يدعيان «جنة» مع فارق يتعلق بالإنسان الذي يحرثها. فلا يعد الخير خيراً إذا لم يكن مكنونه سماوياً، منه أو عبره يصدر الإدراك الحسي عن الرب. وقد دُعي هذا المكنون هنا «وسطاً»، كما هي عليه الحال في آيات الكتاب الأخرى.

226. (الآيتان 9، 10). **فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت؛ لأني عريان فاختبأت.**

لقد شرحنا سابقاً معنى «نادى»، و«صوت في الجنة»، ولماذا «خشيا؛ لأنهما عريانان»، و«اختبأا». وفي الكتاب يسأل الرب الإنسان أولاً أين هو وماذا يفعل، مع أنه يعرف كل شيء مسبقاً. لكن الأسئلة تطرح لكي يستطيع الإنسان أن يدرك بنفسه ويعترف.

227. وبما أنه من الضروري معرفة من أين يأتي الإدراك الحسي، والإلهام الداخلي والضمير، وبما أن هذا كله غير معروف الآن، لذلك فإنني سوف أتطرق إلى هذه المادة بعض التطرق. فثمة حقيقة مهمة تكمن في كون الرب هو الذي يوجه الإنسان عبر الأرواح والملائكة. وعندما تبدأ الأرواح الشريرة تسيطر، يوجه الملائكة قواهم لدرء الشر والباطل، لذلك ينشأ الصراع. ويبدأ الإنسان يشعر بهذا الصراع عبر إدراكه الحسي، وإلهامه، وضميره، وعبر هذه الأحاسيس، وكذلك عبر الغواية والضلال يستطيع الإنسان أن يرى بوضوح أن الأرواح والملائكة تقيم معه، إذا لم يكن غارقاً فيما هو جسدي إلى حد عدم إيمانه بما قيل هنا عن الأرواح والملائكة. فمثل هؤلاء حتى لو عاشوا مثل هذا الصراع مئات المرات، فإنهم سوف يدعونه وهماً وثمرة لبعض الخلل النفسي. وقد منحت أنا نعمة عيش مثل هذا المعارك بصورة مستمرة تقريباً على مدى عدة سنوات، فأحسست بها عبر تجربة حية، كما أنعم علي أيضاً بأن أعرف من كانت تلك الأرواح وأولئك الملائكة، ومن أين أتوا، ومتى. كانوا يأتون؛ ومتى كانوا يذهبون؛ وقد تحدثت معهم.

228. إنه من غير الممكن وصف مدى دقة الإدراك الحسي الذي يعرف الملائكة بوساطته ما إذا كان هناك شيء ما مناقض لحقيقة الإيمان وصدق المحبة، يتسرب إلى نفس الإنسان. فهم يدركون صفات ما يتغلغل إلى هناك لحظة بدء تغلغله، وإدراكهم هذا أفضل بألف مرة من إدراك الإنسان له. فهذا الأخير بالكاد يعرف شيئاً عن هذا. إن الملائكة يدركون أدق أفكار الإنسان إدراكاً أكثر كمالاً بما لا يقاس من أعلى درجات إدراك الإنسان لنفسه. ومع أن هذا يبدو غير معقول، إلا أنه حقيقية مطلقة.

229. (الآيات 11-13). **قال: فمن أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: لماذا فعلت هذا؟ فقالت المرأة: الحية أغوتني فأكلت.**

يتضح مغزى هذه الكلمات مما كنا قد شرحناه سابقاً، ونقصد هنا تحديداً إلى أن عقلانية الإنسان أجازت لنفسها أن تخادع الذات التي حرصت عليها (أي حب الذات)، إلى حد أن الإنسان لم يكن يؤمن بأي شيء لا يراه ويحس به. فكل منا يستطيع أن يفهم أن الرب الإله لم يتحدث على الحية، وأن هذه لم تكن في واقع الأمر حية، كما لم يتوجه هو إلى ما هو حسي ومتمثل في «الحية»؛ فهذه الكلمات تنطوي على مغزى آخر، وتحديداً على أن الناس أدركوا أن أحاسيسهم الخارجية خدعتهم، ولكن بما أن حب الذات كان هو الغالب لديهم، فقد رغبوا في أن يعرفوا أولاً، وقبل أن يؤمنوا ما إذا كان ما سمعوا به عن الرب والإيمان به حقيقة أم لا.

230. إن حب الذات هو أعظم شرور هذا الجيل، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يتصف بعدم حب السلام، كما هي الحال اليوم؛ لأن الناس كانوا يعيشون زمنئذٍ منغلقين منعزلين في بيوتهم وعائلاتهم، ولم يسعوا على مراكمة الثروات.

231. وشر الكنيسة الأولى التي كانت قبل الطوفان، ثم تلك التي قامت بعد الطوفان، مروراً بالكنيسة اليهودية، وصولاً إلى الكنيسة الحديثة، أو

الكنيسة التي نشأت بين الوثنيين بعد مجيء الرب، وكذلك شر الكنيسة القائمة اليوم، قام ولا يزال قائماً في أنهم لا يؤمنون بالرب، ولا بالكتاب، بل يؤمنون في أنفسهم وبأحاسيسهم. ولذلك فإنه ليس ثمة إيمان، وعندما يكون ثمة إيمان لا يكون هناك حب للقريب، وعندئذٍ فإن كل شيء يكون باطلاً وشريراً.

232. والحال في وقتنا الراهن أكثر سوءاً بما لا يقاس مما كانت عليه من قبل؛ لأن الناس تستطيع أن تؤكد الآن خطأ الشعور اعتماداً على المعارف العلمية التي لم تكن معروفة للقدماء، وهو ما أنتج مستوى من العمه لا مثيل له من قبل. ولو عرف الناس مدى مثل هذا العمه لذهلوا.

233. ولا يمكن أيضاً تقصّي أسرار الإيمان بالوسائل العلمية، كدخول الجمل من ثقب الإبرة، أو توجيه أدق ألياف الصدر والقلب. فالعلمي والشعوري شديد الفظاعة بالمقارنة مع الروحي والسماوي. ومن يرد تقصّي أسرار الطبيعة التي لا عدّ لها، فإنه بالكاد يكشف عن واحد منها من غير أن يقع في أثناء ذلك بالخطأ. وهذا أكثر قابلية للحدوث عند تقصي الحقائق المكنونة للحياة الروحية والسماوية، حيث ثمة آلاف مؤلفة من الأسرار موجودة كسر واحد، غير مرئي في الطبيعة.

2. وها نحن نسوق المثال التالي للتوضيح. فالإنسان لا يستطيع أن يأتي من ذاته إلا بالشر والابتعاد عن الرب. لكن من يفعل هذا في واقع الأمر ليس الإنسان، بل أرواح الشر المقيمة فيه؛ بل وليست الأرواح من يفعل ذلك، إنما الشر نفسه الذي جعلته هذه الأرواح خاصتها. ومع ذلك فإن الإنسان يصنع الشر ويبتعد عن الرب، وفي هذا يكمن ذنبه؛ مع أنه يعيش بفضل الرب فقط. ومن جهة أخرى فإن الإنسان لا يستطيع من نفسه أن يصنع الخير ويقترب من الرب، ومن يصنع ذلك هم الملائكة. بل حتى الملائكة عاجزون عن فعل ذلك؛ لأن الرب وحده من يفعله. ومع ذلك فإنه يمكن للإنسان أن يصنع الخير ويقترب من الرب. بيد أنه لا يمكن فهم آلية حدوث ذلك عبر الأحاسيس؛ أو بالوسائل العلمية، أو الفلسفية؛ وإذا ما استرشدنا بهذه الأخيرة، فإنها لن تقود إلا إلى النفي، بصرف النظر عن كون ذلك حقيقة.

3. ويتضح مما قيل أن الناس الذين يركنون إلى الإدراك الحسي والمعارف العلمية في مسائل الإيمان، يستغرقون في الشك، بل في النفي أيضاً، أي في ظلام دامس، بالتالي في شتى ضروب الرغبات؛ لأنهم إذ يؤمنون بالباطل إنما يصنعون الباطل. وبما أنهم يؤمنون بأنه لا وجود لما هو روحي وسماوي، فهم على قناعة راسخة بأنه ليس ثمة وجود لما هو غير جسدي وزمني. ولذلك يحب مثل هؤلاء كل ما ينتمي إليهم وللعالم، وعلى هذا النحو فإن الأهواء والشر تنبع من الباطل.

تكوين 3: 14-19

14. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت أكثر من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين طيلة أيام حياتك.

15. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.

16. وقال للمرأة: تكثيراً أكثّر أتعاب حبَلك. بالوجع تلدين أولاداً، ولرجلك تخضعين، وهو يسود عليك.

17. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

18. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل.

19. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود.

المحتوى

234. يوصف هنا الطور التالي لحالة الكنيسة قبل الطوفان؛ وبما أن الكنيسة زمنئذٍ كانت قد سقطت تماماً، فقد جاءت النبوءة التي قالت بمجيء الرب إلى العالم لكي ينقذ الجنس البشري.

235. وبما أن الإنسان لم يشأ أن يؤمن بأي شيء لا يدركه الشعور، فقد جر عليه الإحساس الذي يعد «حية»، اللعنة وتحول إلى عنصر من عناصر جهنم (الآية 14).

236. ولكي لا تغرق البشرية في جهنم غرقاً تاماً، وعدّ الرب بأنه سوف يأتي إلى العالم (الآية 15).

237. وتوصف الكنيسة بعد ذلك «امرأة». وقد أحبت هذه الكنيسة نفسها إلى درجة باتت عندها غير قادرة على أن تدرك الحقائق على الرغم من أن الناس وهبوا البصيرة التي كان ينبغي أن تقود سلوكهم (الآية 16).

238. ثم توصف ما هي البصيرة التي وافقت على ذلك فجلبت لنفسها بذلك اللعنة واستحقت جهنم، وهكذا لم يبق ثمّة عقل، وبقيت المحاكمات العقلية فقط (الآية 17).

239. ووصفت اللعنة والخراب وطبيعتهما الفظة (الآية 18).

240. وبعد ذلك وصف عزوفهما عن كل ما يمت بصلة إلى المحبة والإيمان، وأنهما لذلك لم يعودا بشراً (الآية 19).

المغزى المكنون

241. لقد امتلك الأقدمون الذين كانوا أناساً سماويين، طبيعة خاصة؛ إذ كانوا إذا تأملوا أشياء العالم أو الأرض، تفكروا في الأشياء السماوية والإلهية التي كانت تعني الأشياء التي يرونها أو تمثلها. ولم تكن رؤيتهم سوى أداة، وكذلك كان دور كلامهم أيضاً. إن كل واحد كان يستطيع أن يعرف بتجربته الخاصة، كيف كان ذلك؛ لأنه إذا ما تابع بانتباه مغزى الكلمات التي ينطق بها المتحدث فإنه لا يعي إلا مغزاها مع أنه يسمعها لكنه في واقع الحال كأنه لا يسمعها. وذلك الذي يفكر بعمق أكثر لا يلقي بالاً حتى لمغزى الكلمات، بل يأخذ منه المغزى الأكثر عمومية وحسب. لكن أحفاد الكنيسة الأولى الذين نتحدث عنهم هنا، لم يكونوا كآبائهم؛ لأنهم عندما كانوا يتأملون أشياء الطبيعة كانوا يحبونها ويركّزون أفكارهم عليها. لقد كانوا يتفكرون فيها أولاً، ثم في الأشياء السماوية والإلهية. وعلى هذا النحو صار الإحساس هو المصدر الرئيس بالنسبة إليهم، ولم يعد مجرد أداة، كما كانت عليه الحال لدى آبائهم. وعندما تصير الغلبة لما هو زمني، عندئذٍ يتفكر الناس بالأشياء السماوية، وهذا ما يقودهم إلى العمه. ويستطيع أي كان أن يعرف بتجربته الخاصة كيف يحصل هذا؛ لأن من يركز انتباهه على الكلمات التي ينطق بها المتحدث ويغفل عن مغزاها، لا يلتقط سوى قليل جداً من المغزى، وأقل بكثير من المغزى العام، وأحياناً ما يحكم على كل ما يقوله الآخر انطلاقاً من كلمة واحدة، أو من السمات النحوية للكلام.

242. (الآية 14). فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت أكثر من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين طيلة أيام حياتك.

«وقال الرب الإله للحية». إن هذه الجملة تعني أنهما أدركا أن شعورهما غدا سبباً (سبب سقوطهما). وتعني الكلمات «ملعونة أنت أكثر من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية»، أن شعورهما قد ارتد عما هو سماوي واتجه نحو ما هو جسدي، وبذلك يكون قد لعن نفسه. وتدل كلمة «البهائم» و«وحوش البرية» هنا على الأحاسيس. أما الكلمات «على بطنك تسعين»، فهي تعني أنه لم يعد بإمكان إحساسهما أن يتأمل السماوي، بل الأرضي والجسدي وحسب. وتعني الكلمات «وتراباً تأكلين طيلة أيام حياتك»، أن إحساسهما لم يعد بمقدوره أن يحيا إلا جسدياً وزمنياً، أي أنه بات من عناصر جهنم.

243. لقد كان الإحساس في الناس الأقدمين السماويين يخضع للإنسان الداخلي ويخدمه، وكانت تلك هي وظيفته. ولكن بعد أن صار الإنسان محباً لنفسه، جعل مواهب الشعور فوق الإنسان الداخلي، ولذلك انفصل الإحساس وصار جسداً فأُدين.

244. فالكلمات «وقال الرب الإله للحية»، تعني أنهما أدركا أن إحساسهما بات سبباً (سبب سقوطهما). وهذا ما أوضحناه سابقاً، ولذلك ليس ثمة ضرورة للوقوف عنده هنا.

245. «وقال للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت أكثر من جميع البهائم ووحوش البرية». إن هذه الكلمات تعني أن إحساسهما ارتدّ عما هو سماوي وتوجه نحو ما هو جسدي، وبذا يكون قد لعن نفسه. وهذا ما يمكن أن نراه بوضوح في المغزى المكنون للكتاب. فالرب لا يلعن أحداً قط، ولا يغضب على أحد، ولا يغوي أحداً، ولا يعاقب أحداً. فهذا كله من فعل حاشية جهنم، لأن مثل هذه الأفعال لا يمكن أن تصدر عن ينبوع الرحمة والسلام والعطف. أما ما قيل هنا وفي غير مكان من الكتاب عن أن الرب الإله يحوّل وجهه، ويغضب، ويعاقب، ويغوي، بل ويقتل ويلعن، فإن سببه يكمن في جعل الناس تؤمن بأن الرب هو الذي يسيّر العالم

ويتصرف بكل ما هو موجود في المعمورة، بما في ذلك الشر، والعقاب، والغواية. وعندما يستوعب الناس هذا المفهوم العام، يمكنهم عندئذٍ أن يعلموا كيف يوجه كل شيء ويتصرف به محولاً شر العقاب والغواية إلى عمل صالح. إن دراسة الكتاب المقدس وتعلمه ينبغي أن تبدأ من دراسة أكثر المفاهيم عمومية، ولذلك فإن المغزى الحرفي مليء بمثل هذه المفاهيم.

246. لقد كنا أوضحنا في المقطعين 45 و46 أن «الحيوانات ووحوش البرية» تعني الأحاسيس. ونضيف إلى ما قلناه المقطع التالي من مزامير. داود:

مطر نعم أنزلت يا الله، وميراثك في إعيائه أنت أيدته، حيواناتك نزلت به.

(مزامير 46: 10، 11).

وهنا يستدل على الإحساس الطيب «بالوحش» أيضاً، لأنه قيل: إنه «سيقيم في ميراث الرب». وهنا وكذلك في الإصحاح 2: 19، 20، يذكر «الحيوان ووحش البرية»، بينما يجري الحديث في الإصحاح 1: 24، 25 عن «الحيوان ووحش الأرض»، ويكمن سبب ذلك في أن الحديث يجري في المقطع المعطى عن الكنيسة أو عن الإنسان المتجدد، بينما يوصف في الإصحاح الأول الزمن الذي لم تكن الكنيسة قد وجدت فيه بعد، أي الزمن الذي كان يجب أن يتجدد الإنسان فيه؛ لأن كلمة «برية» تستعمل عند الحديث عن الكنيسة، أي عن الإنسان الذي تجدد.

147. وتعني «الحية التي سوف تسعى على بطنها» أنه لم يعد بمقدور إحساسهما أن يتطلع إلى الأعلى، إلى ما هو سماوي بل إلى الأسفل، إلى ما هو جسدي وزمني. ويتضح هذا من كون «البطن» كان يعني في الأزمنة القديمة، ما هو أقرب إلى الأرض، بينما كان «الصدر» يعني، ما هو فوق الأرض، و«الرأس»، ما هو أعلى من كل شيء آخر. وما يقال هنا، هو إن الإحساس الذي يعد بحد ذاته الجزء الأدنى من طبيعة الإنسان، «ينبغي عليه أن يزحف على بطنه»، لأنه يتجه نحو ما هو أرضي. وكان يرمز إلى الأمر نفسه في الكنيسة اليهودية بميل البطن حتى الأرض ونثر التراب على الرأس. فيقول داود:

لماذا تحجب وجهك، وتنسى كربنا ومذلتنا؟ لأن نفسنا انحدرت حتى التراب، وبطننا التصقت بالأرض. فانهض لتعيننا، وخلصنا من أجل رحمتك.

(مزامير 43: 24-26).

إذن، عندما يتحول الإنسان عن وجه الرب الإله، فإنه «يقترب ببطنه إلى التراب والأرض». وترمز «بطن» الحوت عند يونان إلى طبقات الأرض السفلى، فقد قال في نبوءته:

من جوف الجحيم استغثت فسمعت صوتي.

(نبوءة يونان 2: 3).

فالجحيم تعني هنا الأرض السفلى.

248. ولذلك فإنه عندما كان يتطلع الإنسان إلى ما هو سماوي، كانوا يقولون عنه، إنه «يمشي منتصباً» و«ينظر إلى الأعلى» أو «إلى الأمام»، والمعنى نفسه. لكنه حينما كان يتطلع إلى ما هو جسدي وأرضي، كانوا يقولون عنه: إنه «ينحني إلى الأرض»، و«ينظر إلى تحت»، أو «إلى الخلف». فقد جاء في سفر اللاويين:

أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر لئلا تكونوا عبيداً لهم وكسر أغلال نيركم وجعلكم تسيرون منتصبين.

(لاويين 26: 13).

ويقول ميخا:

لذلك هكذا قال الرب: هاأنذا مفكر على هذه العشيرة بشرّ لا تحوّلون عنه أعناقكم ولا تمشون متشامخين، لأنه زمان سوء.

(نبوءة ميخا 2: 3).

ويقول إرميا:

قد أخطأت أورشليم خطية فصارت من أجل ذلك رجسة. جميع مكرميها ازدروها لأنهم رأوا عورتها، أما هي فتنهدت ورجعت إلى الوراء. من العلاء أرسل ناراً إلى عظامي فسرت فيها. بسط شركاً لرجليّ فردني إلى الوراء. جعلني خربة ومغمومة اليوم كله.

(مراثي إرميا 1: 8، 13).

ونقرأ عند أشعياء:

.... الرب فاديك...، رادّ الحكماء إلى الوراء ومسفه علمهم.

(أشعياء. 44: 24، 25).

249. «تأكل تراباً طيلة أيام حياتها». إن المقصود بهذه الكلمات، هو أن إحساسهما صار لا يقدر على العيش إلا جسدياً وزمنياً، أي أنه بات عنصراً جهنمياً. وهذا ما يوضحه أيضاً مدلول كلمة «تراب» في الكتاب. يقول ميخا:

ارع شعبك بعصاك... كما في الأيام القديمة! فيرى الأمم ويخزون من قوتهم كلها... ويلحسون التراب كالحية، وينتقلون من أحجارهم كزحافات الأرض...

(ميخا. 7: 14، 16، 17).

والمقصود «بالأيام القديمة» هنا، هو الكنيسة الأولى؛ أما المقصود «بالأمم» فهم أولئك الذين يؤمنون بذاتهم، وقد قيل عنهم، إنهم سوف «يلحسون التراب كالحية». يقول داود:

أمامه يجثوا أهل البادية، وأعداؤه يلحسون التراب.

(مزامير. 71: 9) .

والمقصود «بأهل البادية» و«الأعداء» هنا، هم أولئك الذين يتطلعون إلى ما هو زمني فقط. يقول أشعياء:

... أما الحية فالتراب يكون طعامها...

(أشعياء. 65: 25).

وبما أن «التراب» يرمز إلى أولئك الذين لم يلقوا بالاً إلى ما هو روحي وسماوي، بل إلى ما هو جسدي وزمني، لذلك أمر الرب تلاميذه بأن «ينفضوا غبار أرجلهم» إذا كانت المدينة التي يدخلونها والبيت الذين يدخلونه لا يستحقان (متّى. 10: 14). وسوف نرى في الآية 19 أن «التراب» يعني كل ما هو مدان وجهنمي.

250. (الآية 15). وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.

لقد بات معروفاً في أيامنا هذه، أن الآية التي نحن بصددها حملت أول نبوءة عن مجيء الرب إلى العالم؛ وهذا واضح من الكلمات نفسها.

ولذلك عرف اليهود منها ومن الأنبياء أن المسيا يجب أن يأتي. بيد أنه من غير المعروف حتى الآن ما هو المقصود «بالحية» و«المرأة»، و«نسل الحية» و«نسل المرأة»؛ وما المقصود «برأس الحية الذي سيسحق» و«عقب الإنسان الذي سوف تسحقه الحية». إذن ينبغي علينا أن نفسر هذه الألغاز.. «فالحية» هنا تمثل كل شر على وجه العموم، لكنها تمثل على وجه الخصوص حب الذات؛ وترمز «المرأة» إلى الكنيسة، و«نسل الحية» إلى غياب كل إيمان، و«نسل المرأة» إلى الإيمان بالرب، «فهو» الرب نفسه، أما «رأس الحية» فإنه سيطرة الشر على وجه العموم، وحب الذات على وجه الخصوص. وتعني كلمة «سحق»، أذل وأرغم على «الزحف على البطن وأكل التراب»؛ ويرمز «العقب» إلى العنصر الطبيعي (الجسدي) الأدنى الذي يجب أن تلدغه الحية.

251. إن «الحية» ترمز إلى الشر على وجه العموم وحب الذات على وجه الخصوص، لأن كل شر مصدره الشعور والمعارف العلمية التي كان يرمز إليها من قبل «بالحية». ولذلك فهي تعني هنا أنواع الشر كلها، خاصة حب الذات أو كره القريب وكره الرب، والمعنى واحد. وبما أن هذا الشر، أو الكره متنوع ويتألف من عائلات شتى، لذلك جاء وصفه في الكتاب المقدس موزعاً على مختلف أنواع الحيات: «الحيات السامة»، و«الأراقم»، و«الصلال»، و«الحنش»، و«الحيات النارية»، و«الطيارة والزاحفة»، و«الأفاعي»، حسب درجة سمّيتها التي تمثل درجة الكره المقصودة. يقول أشعياء:

لا تفرحي يا أرض فلسطين لأن قضيب ضاربك قد انكسر، لأنه من أصل الحية يخرج الأرقم ونسل هذا يكون ثعباناً طياراً.

(أشعياء. 14: 29).

ويعني «أصل الحية» هنا المبدأ الشعوري والعلمي؛ أما «الأرقم» فهو الشر النابع من الكذب؛ و«الثعبان الطيار»، هو الهواء النابع من حب الذات. وقد وصف أشعياء. ما يشبه هذا على الصورة الآتية:

ينقفون بيض الأرقم وينسجون خيوط العنكبوت؛ وبيضهم من أكل منه يموت، وما حضن منه ينشق عن أفعى.

(أشعياء. 59: 5).

إن الحية الموصوفة هنا في سفر التكوين، تدعى في كتاب الرؤيا: «التنين الأشقر العظيم»، و«الحية القديمة»، و«الإبليس والشيطان» الذي يضل المسكونة كلها (رؤيا يوحنا. 12: 3، 9). وليس المقصود بالإبليس هنا وفي أماكن أخرى من الكتاب المقدس، إبليساً محدداً بعينه يسود على الأبالسة الآخرين، إنما المقصود به، هو حشد الأرواح الشريرة كله والشر نفسه.

252. ويتضح مما قيل سابقاً عن الزواج السماوي (المقطع 155) أن «المرأة» ترمز إلى الكنيسة. فطبيعة الزواج السماوي تتصف بكون السماء، بالتالي الكنيسة، متحدة مع الرب عبر الذات، بحيث تحتوي الذات على هذه الوحدة، ولذلك لولا الذات لما كان ثمة اتحاد. وعندما يدخل الرب بعنايته، البراءة والسلام والخير في هذه الذات، فإنها على الرغم من كونها ذاتاً، إلا أنها تغدو سماوية ومباركة (المقطع 164). ومن غير الممكن وصف ماهية الذات السماوية والملائكية المنبثقة عن الرب، كما لا يمكن كذلك وصف الذات الجهنمية والإبليسية المنبثقة من الإنسان. فالفرق بينهما كالفرق بين السماء والجحيم.

253. واستناداً إلى الذات السماوية والملائكية دعيت الكنيسة في الكتاب المقدس «امرأة»، و«زوجة»، و«عروساً»، و«عذراء» و«ابنة». فهي دُعيت «امرأة» في كتاب الرؤيا:

وظهرت في السماء آية عظيمة، امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً.... وإذا بتنين أشقر عظيم... ووقف التنين قبالة المرأة المشرفة على الولادة ليبتلع ولدها عندما تلده.

(رؤيا يوحنا. 12: 1-4).

في هذا المقطع ترمز «المرأة» إلى الكنيسة، وترمز «الشمس» إلى المحبة؛ و«القمر» إلى الإيمان، و«النجوم» حقيقة الإيمان، كما أشرنا سابقاً. إن هذه الأرواح الشريرة كلها تكره بكل ما لديها من كره وتطارد بكل ما تملك من قوى. كما دُعيت الكنيسة «امرأة» و«زوجة» عند أشعياء. أيضاً:

لأن بعلك هو صانعك؛ رب الجنود اسمه؛ ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح، دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك.

(أشعياء. 54: 5-6).

لقد دعي «الخالق» هنا «بعلاً» أيضاً، لأن الحديث يجري في الوقت نفسه عن الذات؛ ومعنى «امرأة محزونة»، و«زوجة الصبا» هو الكنيسة الأولى والكنيسة القديمة. يقول ملاخي:

.... الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك...

(ملاخي. 2: 14).

وفي الرؤيا تدعى الكنيسة «زوجة» و«عروساً»:

وأنا يوحنا. رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيّأة كعروس مزينة لزوجها... هلم فأُريك العروس زوجة الخروف.

(رؤيا يوحنا. 21: 2، 9).

كما دُعيت الكنيسة «عذراء» و«ابنة» لدى الأنبياء كلهم.

254. إن المقصود «بنسل الحية»، هو كل عدم إيمان، وهذا واضح من كون «الحية» ترمز إلى كل شر. و«النسل» هو كل ما ينتِج وما ينتَج أو ما يلد وما يولد، وبما أن الحديث يجري عن الكنيسة، فإن المقصود «بالنسل» هنا، هو عدم الإيمان. فعند أشعياء. حيث يجري الحديث عن الكنيسة اليهودية الفاسدة، دُعيت هذه الأخيرة «نسل فاعلي الشر»، «نسل الفساد»، «نسل الباطل»:

ويل للشعب الخاطئ، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، بنو الفساد، تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى الوراء.

(أشعياء. 1: 4).

ويقول أيضاً:

أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا أبناء الساحرة، نسل الفاسق والزانية... أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب.

(أشعياء. 57: 3، 4).

كما يقول أشعياء. أيضاً:

وأما أنت فقد طرحت في قبر غير قبرك كغصن محتقر،... لأنك أخربت أرضك، وقتلت شعبك: فليُنس إلى الأبد نسل فاعلي الشر.

(أشعياء. 14: 19، 20).

لقد قيل هذا كله عن «الثعبان» أو «التنين» الذي يدعى في الإصحاح المذكور باسم لوسفير.

255. أما كون «نسل المرأة» يعني الإيمان بالرب، فهو أمر واضح من كون «المرأة» تعني الكنيسة، التي يعدّ الإيمان «نسلها»، لأن الكنيسة تدعى كنيسة بسبب إيمانها بالرب. فقد دُعي الإيمان لدى ملاخي «زرعاً من الله»:

إن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك. أفلم يفعل واحد وفيه روح عظيم؟ وما الذي فعله هذا الواحد؟ لقد طلب زرعاً من الله. فاحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه.

(ملاخي. 2: 14، 15).

إن «زوجة الشباب» في هذا المقطع، هي الكنيسة الأولى والكنيسة القديمة التي يتحدث النبي عن «زرعها» (أو إيمانها). وعند أشعياء:

لأني أسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة؛ أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك.

(أشعياء. 44: 3).

وهذا ينسحب على الكنيسة أيضاً:

فغاضب التنين المرأة وذهب ليحارب باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله ولهم شهادة يسوع المسيح.

(رؤيا يوحنا. 12: 17).

ويقول داود:

قطعت عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي: لأثبتنّ نسلك إلى الأبد ولأبنينّ عرشك إلى جيل فجيل. أجعل **نسله إلى الأبد وعرشه مثل أيام السماء. ليدومنّ نسله إلى الأبد، وعرشه كالشمس أمامي...**

(مزامير 89: 4، 5، 30، 37).

والمقصود «بداود» هنا، هو الرب؛ و«بالعرش» مملكته، و«بالشمس» المحبة، و«بالنسل» الإيمان.

256. ولم يدع الإيمان وحده «نسل المرأة»، إنما دُعي الرب نفسه نسلها أيضاً، لأنه هو وحده الذي يمنح الإيمان، وعلى هذا النحو يعد هو الإيمان نفسه، ولأنه أراد أن يولد في الكنيسة التي غرقت تماماً في الذات الجهنمية والإبليسية عبر حب الذات والعالم، لكي يوحد بقدرته الإلهية الذات السماوية مع الذات البشرية في جوهره الإنساني بحيث تؤلفان فيه كلاً واحداً؛ لأنه لولا هذا التوحيد لهلك العالم. لأن الرب يعدّ على هذا النحو نسل المرأة، فقد قيل: «هو»، بصيغة المذكر، ولم يستخدم الضمير العائد للنسل.

257. أما «رأس الحية» فيعني سيطرة الشر على وجه العموم وحب الذات على وجه الخصوص، وهذا واضح تماماً من طبيعته القبيحة، فالشرّ لا يكتفي بالبحث عن بل يرغب في أن يسود العالم كله، وحتى هذا لا يرضيه فيعمل لكي تكون له دفة إدارة كل ما هو سماوي أيضاً. لكن هذا لا يكفيه أيضاً، فيطمح للسيطرة على الرب نفسه. إن هذا كله يتخفى في كل شرارة من لهيب حب الذات. فلو أُطلق هذا الأخير من عقاله لنما في اللحظة عينها حتى حدوده القصوى. ويتبيّن من هذا كيف تسعى «الحية» أو شر حب الذات إلى السيطرة، وإلى أي حد يكره كل من يعجز عن وضعه تحت سيطرته. تلكم هي «رأس الحية» التي تتعالى والتي «يضغطها» الرب إلى الأرض لكي «تسعى على بطنها وتأكل التراب». وعلى هذه الصورة جاء وصف «الثعبان» أو «التنين» المدعو لوسفير لدى أشعياء:

وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات، وأرفع كرسيّ فوق نجوم الله، وأجلس فوق الجبل بين حشد الآلهة في أقاصي للشمال. أصعد فوق

مرتفعات السحاب، وأكون مثل العلي. لكنك قذفت إلى جهنم، إلى أعماق الجحيم.

(أشعياء. 14: 13-15).

كما ورد وصف الثعبان أو «التنين» في رؤيا يوحنا:

... هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان. فطرح التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله، طرح إلى الأرض...

(رؤيا يوحنا. 12: 3، 9).

وقد وصف هناك بأنه رافع رأسه، يقول داود:

قال الرب لسيدي: اجلس على يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدمك. عصا عزتك يرسلها الرب من صهيون: تسلك بين أعدائك. يدين في الأمم. يملأ الأرض جثثاً. يهشم الرأس على أرض واسعة. من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع رأسه.

(مزامير. 109: 1، 2، 6، 7).

258. يتضح من هذه الآية والآية التي سبقتها أن معنى «يسحق» و«يطأ»، هو يذل لكي يرغم على «الزحف على البطن وأكل التراب». ونقف على مثل هذا عند أشعياء:

... إن الرب هو صخرة الدهور: لقد خفض الساكنين في العلاء، وحط المدينة الشامخة، حطها إلى الأرض وألصقها بالتراب، فتطؤها القدم، قدما البائس، خطوات المساكين.

(أشعياء. 26: 4-6)

ويقول أيضاً:

هو ذا شديد قوي أرسله السيد كعاصف ذات برد، وزوبعة... تصرع إلى الأرض صرعاً عنيفاً. فيوطأ بالأقدام تاج كبرياء السكارى من أفرائيم.

(أشعياء. 28: 2، 3).

259. ومن غير الممكن معرفة أن «العقب»، هذا العضو الطبيعي أو الجسدي الأدنى، إذا كنا لا نعرف كيف كان الأقدمون ينظرون إلى مختلف أعضاء جسم الإنسان. فقد نسبوا ما هو سماوي وروحي فيه إلى الرأس وإلى الوجه؛ ونسبوا ما ينبثق منهما (الرحمة والإحسان)، إلى الصدر؛ والطبيعي إلى الرجلين؛ والطبيعي الأدنى إلى القدمين؛ أما العضو الطبيعي والجسدي الأكثر ضعة، فقد نسبوه إلى العقب؛ وهم لم يكتفوا في غضون ذلك بنسبها إلى هذه الأعضاء، بل دعوها بأسمائها أيضاً. وعلى هذا النحو نفسه أشير إلى مبادئ البصيرة الدنيا، أي إلى المعارف العلمية، في نبوءة يعقوب عن سبط دان:

يكون دان ثعباناً على الطريق وأفعواناً على السبيل يلسع رسغ الفرس فيسقط الفارس إلى الوراء.

(تكوين 49: 17)

وجاء عند داود:

لماذا أخاف في أيام السوء إذا أحاط بي إثم عقباي.

(مزامير 48: 5)

ويروى أيضاً أن يعقوب خرج من رحم أمه ممسكاً بعقب أخيه عيسو، ولذلك سمي يعقوب (تكوين 25: 26). فاسم يعقوب مشتق من كلمة تعني «العقب»، لأن الكنيسة اليهودية التي أشير إليها «بيعقوب» آذت عقبها. ولا تستطيع الحية أن تؤذي سوى العناصر الطبيعية الدنيا، أما العناصر الطبيعية الداخلية فهي عاجزة عن إيذائها إلا إذا كان كانت تنويعة من تنويعات الحنش؛ وهي عاجزة أكثر عن إيذاء عناصر الإنسان الروحية، فما بالك بعناصره السماوية التي يصونها الرب ويحفظها في الإنسان من غير أن يعرف. وما يحفظه الرب، يدعوه الكتاب المقدس «بقية» وسوف نبيّن في مكان آخر كيف نجحت الحية في أن تدمر قبل الطوفان العناصر الطبيعية الدنيا لدى الإنسان عبر الشعور وحب الذات؛ وكيف دمرتها لدى اليهود بالشعور والعادات، والصغائر، وحب الذات والعالم؛ وكيف تدمرها الآن بالأحكام الشعورية، والعلم، والفلسفة، وحب الذات والعالم.

260. يتضح مما قيل أن ما كشفت عنه الكنيسة يتعلق بزمن مجيء الرب إلى العالم لينقذ البشر.

261. (الآية 16). وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبَلك. بالوجع تلدين أولاداً، ولرجلك تخضعين، وهو يسود عليك.

بالعلاقة مع الذات التي أحبّتها، فإن المرأة تعني الآن الكنيسة. وتعني الكلمات: «تكثيراً أكثر أتعابك»، الموقعة والآلام التي تنشأ عنها. أمّا «الحبَل» فيعني كل فكرة. و«الأولاد» الذين سوف تلدهم بالوجع، هم الحقائق التي ستولد منها. ويعني «الزوج» هنا كما في السابق، البصيرة التي ينبغي عليها أن تخضع لها.

262. لقد كنا بيّنا سابقاً أن «المرأة» تعني الكنيسة بيْد أنها تعني هنا الكنيسة التي أفسدتها الذات التي كانت تعني من قبل بدورها «امرأة»، لأن الحديث جرى عن الكنيسة الأولى التي فسدت.

263. فعندما يرتد الشعور أو يلعن نفسه، فإن الأرواح الشريرة تبدأ المعركة، ويصيب الأذى حتى الملائكة المقيمين مع الإنسان. ولهذا وصفت هذه المعركة بتكثير الآلام أثناء الحمل وولادة الأولاد، أي إنجاب الأفكار وولادة الحقائق.

264. لكن الكتاب المقدس يفهم «الحبَل وولادة الأولاد» بالمعنى الروحي فقط، وتحديداً فإن «الحبل» يعني الأفكار وميل القلب، أما «الأولاد» فهم الحقائق. وهذا واضح أيضاً عند هوشع:

> **يطير مجد أفرايم كما يطير الطائر: لن تكون لهم ولادات، ولا يكون عندهم حبَل، ولا حبالى. ومع أنهم ربوا أولادهم، إلا أني أسلبهم إياهم؛ لأنه ويل لهم عندما انصرف عنهم.**
>
> **(هوشع. 9: 11، 12)**

فافرايم هنا هم العقلاء، أي الذين يدركون الحقيقة، وأبناؤهم، هم الحقائق نفسها. وقد قيل ما يشبه هذا عن أفرايم في أماكن أخرى، إذ وصفوا بالأذكياء الذين تحولوا إلى أغبياء:

سيحل به مخاض التي تلد، إنه ابن غير حكيم، وإلا لما وقف طويلاً في موقع الطفل الوليد.

(هوشع. 13: 13).

ويقول أشعياء:

اخجلي يا صيدون، لأن البحر، حصن البحر نطق قائلاً: لم أتمخض ولا ولدت ولا ربيت شباباً ولا نشّأت عذارى. عندما يصل الخبر إلى المصريين، سوف ترتعد أوصالهم إذ يسمعون عما حل بصور.

(أشعياء. 23: 4، 5).

وتعني «صيدون» هنا أولئك الذين أقاموا على معارف الإيمان، إلا أنهم أفسدوها بالمعارف العلمية فأضحوا عقيمين:

قبل أن يأخذها الطلق ولدت. قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت ذكراً. من سمع مثل هذا؟ من رأى مثل هذه؟ أو تظهر بلاد في يوم واحد؟ أو يولد شعب دفعة واحدة كما صهيون التي ما إن بدأت آلام مخاضها حتى وضعت بنيها؟ هل أدفع أنا حتى المخاض ولا آذن بالولادة، يقول الرب؟ أو أمنح **قوة الولادة وأغلق الرحم، يقول إلهك؟**

(أشعياء. 66: 7–9).

إن هذا كله يتعلق بالتجدد، «فالأبناء» يرمزون هنا إلى حقائق الإيمان. وبما أن الخير والحقائق حُبل بهما وولدا من الزواج السماوي، فقد دعاهما الرب عند متّى. «أبناء»:

الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان؛... والزرع الجيد هو بنو الملكوت...

(متى. 13: 37، 38).

وعند يوحنا. في 8: 39 يدعى الخير والحقيقية التي تنقذ الإيمان، «أولاد إبراهيم»؛ لأن النسل يعني الإيمان (انظر المقطع 255). ولذلك فإن الأبناء بصفتهم تجسيداً «للنسل»، فهم جوهر الخير وحقيقة الإيمان. ولهذا فإن الرب الذي سيكون من الذرية، دعا نفسه «ابن الإنسان»، أي إيمان الكنيسة.

265. ويتضح من الآية السادسة في هذا الإصحاح، أن «الرجل» هو البصيرة. فقد قيل هناك: إن المرأة أعطت رجلها فأكل، وهذا ما يدل على موافقته. كما يتبيّن هذا أيضاً مما جاء في المقطع 158، إذ يرمز «الرجل» إلى الحكمة والتعقل. لكن «الرجل» يعني هنا البصيرة، لأن الحكمة والعقل فقدا بعد الأكل من شجرة المعرفة، ولم يبق شيء لأن البصيرة تحاكي العقل وتغدو مثيلة له:

266. وبما أن كل شريعة وكل فريضة تصدر عما هو سماوي وروحي بصفة هذا الأخير مبدئها الحقيقي، فإن قانون الزواج هذا الذي يطلب من الزوجة، لأنها لا تتصرف وفق أحكام العقل كما يفعل الزوج، بل وفق رغباتها وأهوائها التي تنتمي إلى الذات، يطلب منها أن تخضع لتعقله وفطنته.

267. (الآية 17). وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

إن «آدم الذي سمع لقول امرأته»، يعني هنا الزوج أو البصيرة؛ وبما أن البصيرة وافقت فإنها فسدت كذلك، أي جلبت لنفسها اللعنة، وجلبتها بذلك إلى الإنسان الخارجي ككل؛ وهذا ما يتضح من الكلمات: «ملعونة الأرض بسببك». أما الكلمات: «بالتعب تأكل منها» فهي دلالة على حالة البؤس التي سيعيشها الإنسان بعد ذلك، وتعني الكلمات: «كل أيام حياتك»، حتى نهاية زمن هذه الكنيسة.

268. ويتبيّن مما قيل في الأول عن «الأرض»، و«التربة» و«الحقل»، أن «الأرض» تعني هنا الإنسان الخارجي. فعندما تجدّد الإنسان، لم يعد يدعى «أرضاً»، بل «تربة» (= الأرض المزروعة)، لأن البذرة السماوية زرعت فيه؛ وهو يقارن أيضاً بهذه «الأرض» ويدعى «أرضاً» في كثير من نصوص الكتاب المقدس. فبذرتا الخير والحقيقة زرعتا في الإنسان الخارجي، أي في أحاسيسه وذاكرته، ولم تزرعا في الإنسان الداخلي، لأن هذا الأخير خال تماماً من أي شيء له علاقة بالذات. إن الخير والحق يحلان في الإنسان الداخلي، وعندما لا يعود وجودهما فيه مرئياً، يكون الإنسان قد صار خارجياً أو جسدياً. ولكن الرب يحفظ بقاءهما في الإنسان

الداخلي الذي لا يعرف عنهما شيئاً لأنهما لا تظهران قبل أن يموت الإنسان الخارجي، إذا صح التعبير، وهذا ما يحصل عادة في لحظة الإغواء، والرزية، والمرض، والاحتضار. وتنتمي البصيرة بدورها أيضاً إلى الإنسان الخارجي (انظر المقطع 118)، وهي تبدو كوسيط بين الإنسان الخارجي والإنسان الداخلي، فهذا الأخير يؤثر على الإنسان الجسدي الخارجي عبر البصيرة. ولكن عندما تعطي البصيرة موافقتها فإنها تفصل بذلك بين الاثنين، فلا يعود معروفاً ما إذا كان ثمة وجود للإنسان الداخلي على وجه العموم أم لا، بالتالي ينسحب هذا التساؤل على وجود العقل والحكمة اللذين ينتميان إليه.

269. إذن، لم يلعن الرب الإله الأرض، أي الإنسان الخارجي، لكن هذا الأخير هو الذي فسد، أي أنه هو نفسه انفصل عن الإنسان الداخلي، وبذا يكون قد لعن نفسه. وهذا واضح مما جاء في المقطع (245).

270. «بالتعب تأكل من الأرض»، كلمات تعبر عن حالة البؤس التي سوف يعيشها الإنسان، وهذا واضح مما ورد قبل ذلك وبعده، وهو واضح أيضاً من أن المغزى المكنون لكلمة «يأكل»، هو يعيش. ويتبيّن هذا أيضاً من واقع أن حالة العيش تظهر عندما تبدأ الأرواح الشريرة معركتها، الأمر الذي يفضي إلى معاناة الملائكة الذين يمكثون مع الإنسان. وتغدو حالة العيش أكثر بؤساً عندما تبدأ مرحلة سيطرة الأرواح الشريرة، لأنها هي التي توجه عندئذٍ الإنسان الخارجي، أما الملائكة فلا توجه سوى الإنسان الداخلي الذي لا يبقى منه إلا القليل، وبالكاد ينجحون في العثور على شيء ما لكي يدافعوا عن الإنسان؛ ومن هنا تأتي المعاناة والقلق. ونادراً ما يشعر الموتى بهذه المعاناة وذلك القلق، لأنهم لم يعودوا بشراً، مع أنهم يعدون أنفسهم بشراً أكثر من الآخرين كلهم؛ فهم لا يعرفون عما هو سماوي وروحي، أي لا يعرفون عن الحياة الأبدية أكثر مما تعرف الحيوانات عنها. إنهم كما الحيوانات، يتطلعون إلى الأسفل، إلى ما هو أرضي، أو إلى الخارج، إلى ما هو زمني؛ ولا يجلّون سوى ذاتهم، ويغضون النظر عن ميولهم وأحاسيسهم بموافقة كاملة من البصيرة. ولأنهم أموات فإنهم عاجزون عن مواجهة إلى صراع روحي أو إغواء، وكانوا سيسقطون حتماً تحت وطأة أعبائهما، ويلعنون أنفسهم، بالتالي

كانوا سيغرقون أكثر في آلام الجحيم الرهيبة. ولذلك فإنهم يتفادون هذا كله قبل المجيء إلى الحياة الأخرى، حيث لا يعود بمقدورهم أن يموتوا جراء الإغواء أو المعاناة، بل يعانون آلاماً ممضة عبّرت عنها الكلمات: «ملعونة الأرض، بالتعب تأكل منها».

271. وتعني الكلمات: «كل أيام حياتك»، آخر أيام الكنيسة، وهذا واضح تماماً لأن الحديث لا يجري هنا عن إنسان بعينه، بل عن الكنيسة وحالتها. وكان الطوفان هو آخر أيام تلك الكنيسة.

272. (الآية 18). شوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل.

إن المقصود «بالشوك والحسك»، هو اللعنة والخراب؛ ومعنى «تأكل عشب الحقل»، هو العيش عيشة حيوان متوحش. ولا يعيش الإنسان عيشة حيوان متوحش إلا عندما ينفصل فيه الإنسان الخارجي عن الداخلي انفصالاً يكون فيه الثاني عاجزاً عن التأثير في الأول إلا بطريقة شديدة العمومية، لأن ما يجعل الإنسان إنساناً، هو ما يصدر عن الرب عبر الإنسان الداخلي، أما ما يجعله حيواناً فهو ما يصدر عن الإنسان الخارجي الذي بعد أن ينفصل عن الإنسان الداخلي يغدو بحد ذاته مجرد حيوان متوحش، له طبيعته عينها، ورغباته، ومتطلباته، وأوهامه وأحاسيسه نفسها، بل والأعضاء ذات الصلة أيضاً، بيد أنه إذا كان بمقدوره أن يفكر بمهارة كما يعتقد، فإن ذلك مرتبط بالجوهر الروحي الذي يتلقى عبره إلهام الحياة من الرب، لكن هذا الجوهر فاسد يتحول إلى مكمن للشر، وهو الموت بعينه. ولذلك فإنه يدعى بالإنسان الميت.

273. ويتضح من معنى كلمة «محصول» ومعنى جملة «الشجرة المثمرة»: البركة والتكاثر، إن «للشوك والحسك» معنى مناقضاً، هو اللعنة والخراب. كما يتضح من قول هوشع. أن «الشوك»، و«الحسك»، و«الدغل الشوكي»، «والقريص»، و«العوسج» لها المعنى عينه:

لأنهم ذهبوا بسبب الخراب، تجمعهم مصر، وتدفنهم ممفيس، يرث القريص نفائس فضتهم، ويكون العوسج في مضارب خيامهم.

(هوشع. 9: 6).

وترمز «مصر» و«ممفيس» هنا، إلى أولئك الذين يريدون أن يفهموا الأشياء الإلهية اعتماداً على أنفسهم ومعارفهم العلمية. فيقول هوشع. هذا نفسه:

وتخرب شوامخ آون خطيئة إسرائيل. ويعلو الشوك والحسك مذابحهم...

(هوشع. 10: 8).

إن «شوامخ آون» تعني هنا حب الذات، أما «الشوك والحسك على مذابحهم» فيعني الدنس. يقول أشعياء. النبي:

لاطمات على الثدي من أجل الحقول المشتهاة ومن أجل الكرمة المثمرة. سينبت الشوك والحسك في أرض شعبي...

(أشعياء. 32: 12، 13)

ويقول حزقيال:

فلا يكون بعد لبيت إسرائيل سلاّء ممرّر ولا شوكة موجعة من كل الذين حولهم...

(حزقيال. 28: 24).

274. ومعنى قوله: «وتأكل عشب الحقل» أو تقتات بقوت بري، هو أنك سوف تعيش عيشة الحيوان البري المتوحش. وهذا ما يتبيّن مما قيل لدى دانيال عن نبوخذ نصر:

يطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثور، ويبلّونك بندى السماء فتمضي عليك سبعة أزمنة...

(دانيال. 4: 25)

ويقول أشعياء:

أما سمعت أني من القديم صنعت ذلك، منذ الأيام الأولى صوّرته، وهاأنذا أحققه **الآن بتخريبك المدن المحصنة وجعلها روابي أنقاض؟ سكانها قصار**

الأيدي ساقطون مخزيون، صاروا كعشب الحقل، وكخضر البقول وحشيش السطوح، كالخبز الذي لفحته النار قبل أن ينضج.

(أشعياء. 37: 26، 27).

ومن الواضح أن هذا النص يشرح مغزى التعابير: «عشب الحقل»، و«خضر البقول»، و«حشيش السطوح»، و«الخبز الملفوح»، لأن الحديث يجري هنا عن الأزمنة التي سبقت الطوفان، وهو ما يتضح من الكلمات: «من القديم»، و«منذ الأيام الأولى».

275. **(الآية 19). بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود.**

إن الكلمات: «بعرق وجهك تأكل خبزاً» تعني أنه ثمة نفور نحو ما هو سماوي؛ ومعنى «تعود إلى الأرض التي أخذت منها»، هو العودة إلى الإنسان الخارجي، وهي الحال التي كان الإنسان عليها قبل أن يتجدد؛ أما معنى «لأنك تراب وإلى تراب تعود»، فهو أن الإنسان بات مداناً ومن أهل الجحيم.

276. وتدل رمزية «الخبز» على أن معنى «بعرق وجهك تأكل خبزاً»، وهو الإحساس بالنفور تجاه ما هو سماوي. «فالخبز» يرمز إلى كل ما هو روحي وسماوي، ويعد هذا قوتاً ملائكياً لا يمكن لهؤلاء الأخيرين العيش من دونه، كما أنه لا يمكن للإنسان أن يعيش من غير الخبز والقوت. فالسماوي والروحي يعادلان الخبز على الأرض ويمثلانه، ويتضح هذا من كثير من نصوص الكتاب. ويقول الرب حسب يوحنا. أنه هو «الخبز» لأن كل ما هو سماوي وروحي ينبع منه:

هذا هو الخبز الذي نزل من السماء... من يأكل هذا الخبز فإنه يعيش إلى الأبد.

(يوحنا. 6: 58).

ولهذا يعد الخبز والنبيذ رمزين على العشاء السري. وتمثل هذا السماوي بالمنّ أيضاً. ويدل قول الرب نفسه على أن السماوي والروحي يشكلان قوت الملائكة:

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

(متى. 4: 4)

أي بحياة الرب التي تعد مصدر كل ما هو سماوي وروحي.

2. إن آخر جيل من أجيال الكنيسة الأولى، وهو الجيل الذي عاش قبيل الطوفان مباشرة، وعنه يجري الكلام هنا، كان جيلاً فاسداً وغارقاً فيما هو شعوري وجسدي إلى درجة لم يشأ عندها أن يسمع شيئاً عن معنى حقيقة الإيمان، ولا عن ضرورة مجيء الرب لكي يخلصه؛ وإذا ما ورد ذكر مثل هذه الأشياء كانوا ينفرون منها. وقد وصف هذا النفور الشديد بالكلمات: «بعرق وجهك تأكل خبزاً». وقد حدث مثل هذا مع اليهود لأنهم لم يعترفوا بوجود الأشياء السماوية، وأرادوا المسيّا الزمني فقط، ولم يستطيعوا تفادي الإحساس بالنفور تجاه المنّ لأنه كان صورة الرب، فوصفوه «بالطعام السخيف»، ولذلك أرسلت عليهم الحيات (سفر العدد 21: 5، 6). زد إلى هذا أن السماوي الذي كانوا يتلقونه وقت الرزايا والآلام، دعوه «خبز الأحزان»، و«خبز الكرب»، و«خبز الدموع». وفي الحالة التي بين يدينا أطلق على ما استقبل بنفور اسم «خبز عرق الوجه».

277 . ذلكم هو المغزى المكنون. أما الذين لا يعوّلون إلا على المغزى الحرفي فإنهم لا يفهمون من هذا سوى أنه ينبغي على الإنسان أن يحصل على خبزه من الأرض بالعمل الشاق، أي بعرق وجهه. ولكن ليس المقصود «بالإنسان» هنا شخصاً ما بعينه، إنما الكنيسة الأولى كلها؛ كما أن «الأرض»، و«الخبز» و«الجنة» لا تعني الأرض والخبز والجنة، بل الأشياء السماوية والروحية.

278. وتعني الكلمات: «تعود إلى الأرض التي أخذت منها»، إن الكنيسة سوف تعود إلى الإنسان الخارجي، إلى ما كان عليه قبل أن يتجدّد. ويتضح هذا من كون «الأرض» تعني الإنسان الخارجي، كما بيّنا سابقاً. وترمز كلمة «تراب» إلى ما هو مدان وجحيمي، وهذا واضح بدوره مما قلناه عن الحية التي ينبغي أن «تأكل التراب» لأنها ملعونة. ويقول داود:

يجثو أمامه كل من ينحدر إلى التراب، ولا يستطيع أن يحفظ حياته.

(مزمور 21: 30)

ويقول في مكان آخر:

تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود.

(مزمور 103: 29).

ويعني هذا أنه عندما ينفر الناس من وجه الرب، يسقطون روحياً أو يموتون، وبذلك «يرجعون إلى التراب»، أي يصبحون مدانين وجحيميين.

279. إن هذه الآيات كلها تتضمن بالترتيب ما يلي: عنصر الإحساس نفر من كل ما هو سماوي (الآية 14). ينبغي أن يأتي الرب إلى العالم لكي يجمع بينهما (الآية 15). بما الإنسان الخارجي قد فسد، فقد ظهر الصراع (الآية 16). فأدى هذا إلى المعاناة، (الآية 17)، والدينونة (الآية 18)، والجحيم (الآية 19). لقد توالى هذا كله في الكنيسة بدءاً من الجيل الرابع حتى الطوفان.

تكوين 3: 20ـ24

20. وسمّى آدم امرأته حواء، لأنها صارت أم كل حي.

21. وصنع الإله الكائن لآدم وامرأته اقمصة من جلد وكساهما.

22. وقال الإله الكائن: هو ذا آدم صار كواحد منّا يعرف الخير والشر؛ والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحيوات أيضاً ويأكل فيحيا إلى الدهر.

23. فأخرجه الإله الكائن من عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها.

24. فطرد آدم وأقام شرقاً عند جنة عدن الكيروبيم وسيفاً يبرق متقلباً لحراسة طريق شجرة الحيوات.

obeikandl.com

المحتوى

280. إن الحديث يجري هنا بإيجاز عن الكنيسة الأولى، وعن أولئك الذين سقطوا؛ كما يجري أيضاً عن ذريتها التي عاشت قبل الطوفان ودنت نهايتها.

281. وعن الكنيسة الأولى التي كانت سماوية، ومن حياة الإيمان بالرب دعيت «حواء» وأم كل حي (الآية 20).

282. وعن الجيل الأول من ذريتها، الذي كان فيه الخير السماوي - الروحي؛ وعن الجيل الثاني والجيل الثالث اللذين كان فيهما الخير الطبيعي الذي رمز إليه «بالثياب الجلدية التي صنعها الرب الإله لآدم وزوجته» (الآية 21).

283. وعن الجيل الرابع الذي بات يفقد الخير الطبيعي؛ ولو كان هؤلاء الناس قد تجدّدوا أو أرشدوا في مسائل الإيمان السماوية، لهلكوا من غير ريب، وهذا ما تشير إليه الكلمات: «لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً فيأكل فيحيا إلى الدهر» (الآية 22).

284. وعن الجيل الخامس الذي سُلب كل خير وحقيقة ودُفع إلى الحالة التي أقام فيها قبل التجدد، وهذا ما يدل عليه طرده «من جنة عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها») (الآية 23).

285. وعن الجيلين السادس والسابع، عندما سلب الناس كل معرفة عن الخير والحقيقة، وتمثلوا بأهوائهم وقناعاتهم القذرة، وقد شاءت العناية الإلهية ألا يدنسوا قدس الإيمان، وهذا ما دل عليه طردهم وإقامة الكيروبيم والسيف الذي يبرق، لحماية طريق شجرة الحياة (الآية 24).

المغزى المكنون

286. حتى الآن نحن لم نتحدث إلا عن البشر الأوائل وتجدّدهم. فتحدثنا في الأول عن الذين عاشوا عيشة الحيوانات البرية، لكنهم صاروا بعد ذلك إلى أناس روحيين؛ ثم تحدثنا عن الذين بعد أن تحولوا إلى أناس سماويين، كوّنوا الكنيسة الأولى. وجرى الحديث بعد ذلك عن الذين سقطوا منهم، وعن ذريتهم وفق الترتيب الآتي: عن الأجيال: الأول والثاني والثالث وذريتهم، ثم عن الأجيال الباقية حتى بدء الطوفان. وفي الآيات التالية حتى آخر الإصحاح إعادة موجزة لكل ما حدث منذ لحظة تكوين إنسان الكنيسة الأولى حتى لحظة الطوفان؛ بالتالي فإن هذا يمثل خلاصة ما سبق كله.

287. **(الآية 20). وسمّى آدم امرأته حواء، لأنها صارت أمّ كل حيّ.**

إن المقصود بآدم هو إنسان الكنيسة الأولى أو الإنسان السماوي، أما «حواء» و«أمّ كل حي»، فهي الكنيسة. وقد دُعيت «أمّاً» لأنها كانت الكنيسة الأولى؛ وقد قيل: «أمّ كل حي» لأنهم كانوا يؤمنون بالرب الذي هو الحياة عينها.

288. ونحن كنا قد بينا سابقاً أن المقصود «بآدم»، هو إنسان الكنيسة الأولى، أو الإنسان السماوي؛ كما بيّنا أيضاً أن الرب وحده هو الإنسان، وأن كل إنسان سماوي، إنما هو إنسان، لأنه مثيله. وعليه فقد دُعي كل عضو من أعضاء الكنيسة «إنساناً»، من دون استثناء أو تمييز، كما دُعي بالصفة عينها كل من كان له مظهر كمظهر الإنسان، لكي يميّز عن الحيوانات.

289. وبيّنا سابقاً أيضاً أن المقصود «بالزوجة» هي الكنيسة، وبالمعنى الأعم، مملكة الرب في السماء وعلى الأرض؛ ومن هذا يستنتج أن المغزى نفسه

تعطيه كلمة «أمّ». ففي الكتاب المقدس غالباً ما تدعى الكنيسة أمّاً، كما عند أشعياء. مثلاً:

أين كتاب طلاق أمكم الذي سرّحتها به؟

(أشعياء. 50: 1)

وعند إرميا:

ستكون أمكم في خزي كبير، والتي ولدتكم خجلى.

(إرميا. 50: 12).

وعند حزقيال:

إنما أنت ابنة أمك التي عافت رجلها وبنيها، وأنت أخت أخواتك اللائي عفن رجالهن وبنيهن. إن أمكنّ حثية، وأباكنّ أموري.

(حزقيال. 16: 45).

فالزوج يعني هنا «الرب» وكل سماوي؛ و«الأبناء» هم حقائق الإيمان؛ أما «الحثية» فهي الباطل، و«الأموري» الشر. ويقول هذا النبي نفسه:

أمك مثل كرمة غرست على المياه فصارت كثيرة الثمار والأفنان من غزارة المياه.

(حزقيال. 19: 10).

إن «الأم» تعني الكنيسة القديمة. ولكن الكنيسة الأولى هي التي تدعى أمّاً في الأعم الأغلب، لأنها كانت الكنيسة الأولى، والكنيسة السماوية الوحيدة. ولذلك أحبها الرب أكثر من الآخريات.

290. ويتبيّن مما قيل سابقاً أيضاً أنها دعيت «أمّ كل حي» لإيمانها بالرب الذي هو الحياة عينها. فلا يمكن أن يكون ثمة أكثر من حياة واحدة تخرج منها حياة الكل، كما لا يمكن أن تكون هناك أي حياة تكون حياة حقة إلا عبر الإيمان بالرب الذي هو الحياة. ولا يمكن أن يكون هناك إيمان له حياة داخلية إلا إذا كان نابعاً من الرب، أي إلا إذا كان الرب حاضراً فيه. ولذلك دُعي الرب وحده في الكتاب المقدس «بالحي» و«الرب الحي» (إرميا. 5: 2؛ 12: 16؛ 16: 14، 15؛ 23: 7؛ حزقيال.. 5: 11)؛ و«الحي إلى دهر الدهور» (دانيال 4: 34؛ رؤيا يوحنا. 4:

10؛ 5: 14؛ 10: 6)؛ و«ينبوع الحياة» (مزامير 36: 9)؛ و«ينبوع المياه الحية» (إرميا 17: 13). ودعيت السموات التي تتبع حياتها منه، «أرض الأحياء» (أشعياء 38: 11؛ 53: 8؛ حزقيال 26: 20؛ 32: 23-27، 32؛ مزامير 27: 13؛ 52: 5؛ 142: 5). ودُعي الذين لديهم إيمان بالرب «أحياء»، إذ يقول داود:

الذي جعل نفسنا بين الأحياء.

(مزامير 66: 9).

وقد قيل عن أولئك الذين يمتلكون الإيمان إنهم سوف يكونون في «كتاب الحياة» (مزامير 69: 28؛ رؤيا يوحنا 13: 5؛ 20: 15). ولذلك قيل عن الذين يكتسبون الإيمان به إنهم سوف يحيون (هوشع 6: 2؛ مزامير 85: 6). وينتج عن هذا، أن الذين لا إيمان لديهم يدعون «أمواتاً»؛ فأشعياء يقول:

الأموات لا يحيون والجبابرة لا يقومون، لأنك افتقدهم ودمرتهم وأبدت كل ذكر لهم.

(أشعياء 26: 14).

كما قيل عن الشغوفين بحب أنفسهم أيضاً؛ أن «تنهض» يعني أن تدخل الحياة. لقد دُعي هؤلاء بدورهم «قتلى» (حزقيال 32: 23-26، 28-31)؛ ودُعيت الجحيم «موتاً» (أشعياء 25: 8؛ 28: 15). ودعاهم الرب بدوره «أمواتاً» (متّى 4: 16؛ يوحنا 5: 25؛ 8: 21، 24، 51، 52).

291. لقد وصف في هذه الآية، الزمن الأول عندما كانت الكنيسة في أوج ازدهارها وعز شبابها. وبما أنها الصورة الأولى للزواج السماوي، فقد وصفت كذلك ودعيت «حواء»، وهو اسم مشتق من كلمة تعني «الحياة».

292. (الآية 21). وصنع الإله الكائن لآدم وامرأته أقمصة من جلد وكساهما.

ومعنى هذه الكلمات، هو أن الرب أرشدهما إلى الخير الروحي والطبيعي؛ وقد انعكس إرشاده هذا في كلمة «صنع» وكلمة «كسى»، كما انعكس الخير الروحي والخير الطبيعي في الكلمات: «اقمصة من جلد».

293 . ولكننا إذا أخذنا بالمعنى الحرفي لهذه الكلمات، فإنه سوف يتعذر علينا أن نرى فيها المعنى المشار إليه هنا؛ بيد أنه من الواضح أنها تنطوي على سر عميق، لأنه ينبغي على كل إنسان أن يعرف أن الإله الكائن لم يصنع لهما ملابس.

294 . ولن يتسنى لأحد أن يعرف أن «الأقصمة الجلدية» تعني الخير الروحي والطبيعي إلا بالكشف عن المغزى المكنون لهاتين الكلمتين، ومقارنة الأماكن التي ترد فيها مثل هذه التعابير في الكتاب المقدس. فكلمة «جلد» تستخدم في هذه الآية بمعناها العام، ويقصد بها جلد الجدي، والخروف أو الضأن، أي الحيوانات التي ترمز في الكتاب المقدس إلى الأحاسيس الطيبة، والرأفة وكل ما يمتّ إلى الرحمة بصلة. ومثل هذا المغزى كان للخراف في القرابين. كما يدعى الطيّبون والرحماء «بالخراف»؛ ولذلك دُعي الرب «براعي الخراف»، ودعا هو نفسه الرحماء «خرافاً»، وهذا ما يعرفه جميعهم.

295 . لقد قيل إنهما كانا في قمصين جلديين، لأن الناس الأوائل كانوا يدعون «عراة» نظراً لبراءتهم؛ لكنهما بعد أن فقداها أدركا أنهما أضحيا في الشرّ، ودُعي هذا بدوره «عرياً». ولكي يبدو هذا كله مترابطاً بعضه مع بعض كقصة محكمة تتوافق وأسلوب التعبير لدى القدماء، قيل إنهما «ارتديا» لكي لا يكونا عريانين، أي لكي لا يقيما في الشر. وما قيل عنهما في الآيات 1-13 من هذا الإصحاح، يوضّح أنهما كانا يعيشان الخير الروحي والطبيعي، كما يتضح هذا أيضاً من الكلمات: «وصنع الإله الكائن لهما أقمصة من جلد كساهما» فالحديث يجري هنا عن جيل الكنيسة الأول، وخاصة عن الجيلين الثاني والثالث الذين وهبوا مثل هذا الخير.

296 . إن جلود الجداء، والخرفان، والماعز، والغرير، والضأن تعني الخير الطبيعي والروحي، وهذا واضح من المغزى المكنون للكتاب المقدس عندما يتحدث عن يعقوب وعن تابوت العهد. فقد قيل عن يعقوب، إنه «ارتدى ملابس عيسو»، وغطى يديه وعنقه حيث لم يكن ثمة شعر، «بجلد الجدي». وعندما ضمه إسحق قال: «رائحة ولدي كرائحة البراري» (تكوين 27: 15، 16، 27). ويغدو واضحاً أن هذه الجلود تعني الخير الطبيعي والروحي، عندما سيأذن لي الرب بشرح هذا

النص. وقد قيل عن تابوت العهد، إن غطاء الخيمة صنع من «جلود خراف والغرير» (خروج 26: 14؛ 36: 19)، وأنه عندما كانت الأسباط ترتحل كان هارون وبنوه يغطون التابوت «بجلود الغرير»؛ وبالطريقة عينها كانوا يغطون المائدة وأوانيها، والشمعدان وأوانيه، والمذبح الذهبي وأواني الخدمة والمذبح (عدد 4: 6-14). وعندما يأذن الرب لي ويزودني بنعمته لأشرح هذه النصوص، سوف أبيّن أن هذه الجلود تعني الخير الروحي والخير الطبيعي، لأن كل ما كان في التابوت والخيمة، بل كل ما كان على هارون من ثياب عندما كان يرتدي حلته المقدسة، كان يرمز إلى ما هو سماوي وروحي، ولم يكن ثمة أي تفصيل إلا ويرمز إلى شيء ما.

297. ولكن الخير السماوي لا يحجب، لأنه خير مقدس ونقي؛ أما الخير السماوي - الروحي فإنه يحجب أولاً، ثم يليه الخير الطبيعي لأنه يعد أكثر ظهوراً. كما أن أنواع الخير هذه تشبّه وتدعى «ملابس»؛ فحزقيال يقول في معرض حديثه عن الكنيسة القديمة:

وألبستك وشياً، ونعلتك بجلد سمنجوني، وحزمتك بالبز، وكسوتك بالحرير.

(حزقيال. 16: 10).

ويقول أشعياء. في السياق نفسه:

البسي ثياب فخرك يا أورشليم، يا مدينة القدس.

(أشعياء. 52: 1).

وجاء في رؤيا يوحنا:

... الذين لم يدنسوا ثيابهم، وسيسلكون معي في ملابس بيض لأنهم مستحقون.

(رؤيا يوحنا. 3: 4).

كما يتحدث يوحنا. في رؤياه هذه عن أربعة وعشرين شيخاً «لابسين ثياباً بيضاً» (رؤيا يوحنا. 4: 4). وهكذا يتبيّن أن الخير الأكثر ظهوراً، يعد «ثياباً»، وهي حال الخير السماوي - الروحي والخير الطبيعي. ولهذا السبب فإن الناس الذين

أنعم عليهم بخير الرحمة يظهرون في السماء بثياب بديعة. لكن آدم وحواء أُلبسا هنا «أقمصة من جلد» لأنهما كانا لا يزالان في الجسد.

298. (الآية 22). وقال الإله الكائن: هو ذا آدم صار كواحد منا يعرف الخير والشر؛ والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحيوات أيضاً ويأكل فيحيا إلى الدهر.

في الأول يرد اسم «الإله الكائن» هنا بصيغة المفرد، ثم في صيغة الجمع، لأن «الإله الكائن» هو الرب، وهو في الوقت نفسه السماء الملائكية. و«آدم العارف الخير والشر»، هو آدم الذي صار سماوياً، بالتالي صار حكيماً وعاقلاً؛ «والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة»: إن معنى هذه الكلمات، هو أنه ينبغي ألا يشرك آدم في معرفة أسرار الإيمان، لأنه لو حدث ذلك لاستحال إنقاذه ومنحه الحياة الأبدية؛ وهذا هو معنى «فيحيا إلى الدهر».

299. وثمة هنا سرّان: الأول، هو أن «الإله الكائن» يعني الرب والسماء في الآن عينه؛ والثاني، هو أنه لو كان آدم وحواء كُرّسا في أسرار الإيمان، لهلكا إلى الأبد.

300. وينبغي علينا أن نلاحظ في سياق السر الأول، أنه لسبب خفي يُدعى الرب في الكتاب المقدس أحياناً «الإله»، وأحياناً «الإله الكائن»، وأحياناً أخرى «إلهاً» ثم «رباً»، وأحياناً ثالثة «إله إسرائيل»، وفي بعض الأحيان «إله» وحسب. ففي الإصحاح الأول من سفر التكوين حيث ورد في صيغة الجمع: «لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا»، دعي «إله» (الله في الترجمة العربية - . م). ولكنه دُعي في الفصل التالي وفي سياق الحديث عن الإنسان السماوي، «بالإله الكائن»: «كائن» لأنه وحده موجود وحي، بالتالي من حيث الجوهر، و«إله» لأنه قادر على كل شيء، بالتالي من حيث الجبروت، وهذا ما يؤكده اختلاف هذه الكلمات حيث ترد (أشعياء. 49: 4، 5؛ 55: 7؛ مزامير. 18: 2، 28، 29، 31؛ 31: 14). ولذلك فإن كل ملاك أو روح تحدث إلى إنسان ونسبت إليه سلطة ما، دعي «إله» يقول داود:

الله قائم في جماعة الآلهة، يقضي بين الآلهة.

(مزامير. 81: 1)

ويقول في مكان آخر:

لأنه من في السموات يقارن بالرب؟ من بين أبناء الله يشبه الرب؟

(مزامير. 88: 7).

ويقول أيضاً:

مجدوا إله الآلهة، سبحوا سيد السادة.

(مزامير. 135: 2، 3).

وحتى الناس الذين كانوا يملكون القوة دُعوا «آلهة» (مزامير. 82: 6؛ يوحنا. 10: 34، 35). وقيل عن موسى أيضاً إنه جعل «إلهاً لفرعون» (خروج 7: 1). ولذلك فإن كلمة إله تستخدم في العبرية بصيغة الجمع: «الوهيم». ولكن بما أن الملائكة لا يملكون أي قوة ذاتية، بل قوتهم من الرب فقط، وبما أنه ليس هناك سوى إله واحد، لذلك فإن مفهوم «الإله الكائن» يعني في الكتاب المقدس، الرب وحده. وإذا ما تحقق شيء عبر الخدمة التي يؤديها الملائكة، كما جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين، فإن الحديث عن الإله يرد بصيغة الجمع. وفي هذا الإصحاح أيضاً، بما أن الإنسان السماوي بصفته إنساناً لا يمكن أن يشبّه بالرب، إنما بالملائكة فقط، لذلك قيل: «هو ذا آدم صار كواحد منا يعرف الخير والشر»، أي حكيماً وعاقلاً.

301. أما فيما يخص السر الثاني، أي لو كانا مكرسين في أسرار الإيمان لهلكا إلى الأبد، وهو ما تنطوي عليه الكلمات: «لعله الآن يمد يده فيأخذ من شجرة الحيوات ويأكل فيحيا أبد الدهر»، فإن الوضع على الصورة الآتية: عندما أفسد البشر نظام العيش راغبين في الاعتماد على ذاتهم فقط، بصفتها مصدر حياتهم وحكمتهم، فإنهم تفكروا في كل شيء كانوا يسمعونه عن الإيمان، لكي يعرفوا ما إذا كان الأمر هكذا أم لا؛ وبما أنهم يفعلون هذا من ذاتهم، ووفق معطيات تجربتهم الحسية ومعطيات العلم، فإن ذلك سيؤدي بالضرورة إلى الإنكار، بالتالي إلى التجديف والتدنيس إلى درجة اللامبالاة بالخلط بين الدنس والمقدس. وعندما يغدو الإنسان هكذا، فإنه مدان في الحياة الأخرى، ولا أمل له في الخلاص؛ لأن ما جرى خلطه عبر التدنيس يبقى على حاله أبد الدهر. فعندما تظهر

أي فكرة عن شيء ما مقدس، تظهر في اللحظة عينها فكرة دنسة متصلة بها، ولذلك يعجز مثل هذا الإنسان عن الوجود في مجتمع آخر غير مجتمع من حلت عليهم اللعنة. ففي الحياة الأخرى تدرك الأرواح في عالم الأرواح، فما بالك بالملائكة، تدرك بدقة متناهية كل ما يرتبط بأفكار تفكير الإنسان. إنهم بالفكرة وحدها وحسب يعرفون ماهية الإنسان. إنه من غير الممكن الفصل بين الأفكار الدنسة والمقدسة المتحدة بهذه الطريقة، من غير آلام الجحيم التي لو كان الإنسان يعرف عنها شيئاً لتفادى الوقوع في الإثم كما يتفادى جهنم نفسها.

302. ولذلك لم يكشف عن أسرار الإيمان لليهود أبداً. بل لم يخبروا بوضوح بأنهم سوف يعيشون بعد الموت، وبأن الرب سوف يأتي لينقذهم. وهم لا يزالون على جهلهم هذا حتى يومنا هذا، فهم لا يعرفون أي شيء عن وجود الإنسان الخارجي أو أي شيء خارجي على وجه العموم. ولو علموا بهذا لوقعوا في الكفر وفقدوا كل أمل بالخلاص في الحياة الأخرى. وعن هذا قال الرب في إنجيل يوحنا:

هذا شعب أعمى عيونه، وقسى قلبه، فلا يرى بعيونه، ولا يفهم بقلبه، ولا يرجع فاشفيه.

(يوحنا. 12: 40).

لقد كان الرب يتحدث إليهم بأمثال، من غير أن يشرح مغزاها، لأنه كما قال هو نفسه:

لأنهم يبصرون ولا يبصرون، ويسمعون ولا يسمعون، ولا يفهمون.

(متى. 13: 13)

وللسبب نفسه حجبت عنهم أسرار الإيمان خلف ظل النماذج الأصل لكنيستهم، وللسبب عينه اتخذ الأسلوب التنبئي سمة مماثلة. بيد أن المعرفة شيء والاعتراف بها شيء آخر. فمن يعرف ولا يعترف، مثله مثل من لا يعرف؛ لكن من يعترف ثم يكفر، يكون هو المقصود بكلمات الرب هذه.

303. إن الإنسان يصنع حياته مما هو مقتنع به، أي ما يقرّ به، ويؤمن به. أما ما لا قناعة له به، أو ما لا يقر به وما لا يؤمن به، فإنه لا يؤثر على عقله. وعليه فإن أحداً لا يجدّف على المقدسات إذا لم يكن مقتنعاً بها إلى حد الاعتراف بها، إلا أنه

مع ذلك أنكرها. أما الذين لا يعترفون فيمكنهم أن يعرفوا، إلا أنهم كما لو أنهم لا يعرفون أو يعرفون عن أشياء غير موجودة. وهذه كانت حال اليهود عندما جاء الرب إلى العالم، ولذلك قيل عنهم في الكتاب المقدس: إنهم كانوا «مسلوبين»، أي لم يكن لديهم أي إيمان بعد. ولم يكن ثمة خطورة في مثل هذه الحال، من الكشف للناس عن المغزى المكنون للكتاب، لأنهم يرون ولا يرون، ويسمعون ولا يسمعون، وغلظت قلوبهم. وعن هؤلاء قال الرب عند أشعياء:

فقال: انطلق وقل لهذا الشعب: تسمع سماعاً ولا تفهم، وتنظر بعينيك ولا ترى. لأن قلب هذا الشعب غلظ، وأذناه بالكاد تسمعان، وعيناه أغمضتا فلا يبصر بعينيه، ولا يسمع بأذنيه، ولا يفهم بقلبه، ولا يرجع إلي لكي أشفيه.

(أشعياء. 6: 9، 10).

إذن، لا يكشف عن أسرار الإيمان إلا بعد أن يكون الناس قد غدوا مسلوبين إلى حد فقدان الإيمان بكل شيء. وعن هذا قال الرب بوضوح عند أشعياء:

فقلت: إلى متى. أيها السيد؟ فقال: إلى أن تصير المدن خربة بغير ساكن، والبيوت بغير إنسان، والأرض خراباً مقفراً.

(أشعياء. 6: 11).

والمقصود «بالإنسان» هنا، هو الإنسان الحكيم، أي ذلك الذي يعترف ويؤمن.

إذن، لقد كانت تلك حالة اليهود لدى مجيء الرب إلى العالم؛ وللسبب عينه لا يزال هؤلاء حتى يومنا هذا تحت سلطة نوازعهم وأهوائهم، خاصة الجشع. إنهم مسلوبون إلى درجة أنهم يسمعون عن الرب ألف مرة، كما تتحدث عنه كتبهم في كل تفصيل من تفاصيلها، ومع ذلك فإنهم لا يعترفون بشيء ولا يؤمنون بشيء، ولهذا السبب طرد جيل قبل الطوفان من جنة عدن، وأضحوا مسلوبين إلى درجة عجزهم عن الاعتراف بالحقيقة.

304. إن ما تقدم كله يوضح المقصود بالكلمات: «لعله الآن يمد يده فيأخذ من شجرة الحيوات ويأكل فيحيا أبد الدهر». فالأخذ من شجرة الحيوات والأكل منها معناه معرفة كل شيء يخص المحبة والإيمان والاعتراف به؛ «فالحيوات» بصيغة

الجمع، تعني المحبة والإيمان، و«يأكل» تعني هنا كما في سياقات أخرى، يعرف. ولا تعني الكلمات «يحيا أبد الدهر» أنه يعيش بالجسد أبداً، بل تعني أنه سوف يعيش بعد الموت في دينونة أزلية. فالإنسان «ميت» لا لأنه دعي «ميتاً»، وأنه ينبغي أن يموت بعد حياته بالجسد، بل لأنه يجب أن يعيش عيشة الموت، لأن «الموت» هو اللعنة والجحيم. و«للحياة» المعنى عينه عند حزقيال:

افتصدن نفوس شعبي لتحيين نفوسكن؟ وتدنسنني عند شعبي من أجل حفنة شعير وفتات خبز، فتمتن الأرواح التي يجب ألا تموت، وتتركن الأرواح التي يجب ألا تعيش.

(حزقيال. 13: 18، 19).

305. (الآية 23). فأخرجه الإله الكائن من عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها.

إن طرد آدم من جنة عدن يعني سلبه كل عقل وحكمة؛ وحراثته للأرض التي أخذ منها تعني صيرورته جسداً كما كانت عليه حاله قبل أن يتجدد. وما يدل على أن طرد آدم من جنة عدن يعني فقدانه كل عقل وحكمة، هو معنى «جنة» ومعنى «عدن». «فالجنة» تعني العقل أو إدراك الحقيقة؛ و«عدن» تعني المحبة، وكذلك الحكمة، أو تمني الخير. وكنا قد بيّنا في الآية 19 أن حراثة الأرض التي أخذ منها، تعني تحوله إلى إنسان جسدي.

306. (الآية 24). فطر آدم وأقام شرقي جنة عدن الكيروبيم وبريق سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحيوات.

إن «طرد آدم» يعني حرمانه من كل رغبة بالخير ووعي الحقيقة إلى حد قطيعته تماماً عنهما بحيث لم يعد إنساناً. أما «إقامة الكيروبيم لحراسة طريق شجرة الحيوات»، فهي تعني الحؤول دون إمكانية وصوله إلى أي سر من أسرار الإيمان، لأن «شرقي جنة عدن»، هو السماوي الذي ينبثق منه العقل. و«الكيروبيم» هو عناية الرب المباشرة بعدم دخول مثل هذا الإنسان إلى جوهر الإيمان. و«بريق السيف المتقلب» يعني محبة الذات مع أهوائها الجنونية وقناعاتها التي على الرغم من

رغبته في معرفة الأسرار إلا أنه يستغرق فيما هو جسدي وزمني؛ وهذا كله «لحراسة طريق شجرة الحيوات»، أي لمنع تدنيس المقدسات.

307. إن الحديث يجري هنا عن الجيلين السادس والسابع اللذين هلكا في الطوفان. فقد «طردا من جنة عدن»، أي حُرِما من كل إدراك للحقيقة، بالتالي لم يعودا بشراً، بل تمثلا بأهوائهما وقناعاتهما الجنونية.

308. ونحن كنا قد تحدثنا سابقاً عن معنى «الشرق» و«جنة عدن»، لذلك لا نرى ضرورة للعودة إلى هذا الموضوع ثانية. و«الكيروبيم» يعني العناية الإلهية التي تمنع آدم من الوصول إلى أسرار الإيمان بنفسه، وحسب تجربته الحسية ومعطيات العلم، لكي لا يدنسها ويهلك نفسه. وهذا واضح في أماكن كثيرة من الكتاب المقدس حيث يجري الكلام عن «الكيروبيم». وبما أن اليهود كانوا لو امتلكوا أي معرفة عن مجيء الرب، وعن النماذج الأصل للكنيسة أو أنماطها التي تشير إلى الرب، وعن الحياة بعد الموت، وعن الإنسان الداخلي، والمعنى المكنون للكتاب المقدس، لدنسوها وهلكوا إلى الأبد، لذلك أقيم الكيروبيم على غطاء المطهر فوق تابوت العهد، وعلى حجاب الخيمة، وأغطيتها، وكذلك في الهيكل، وكان هذا كله يعني حماية الرب لها (خروج 25: 18-21؛ 26: 1، 31؛ ملوك أول. 6: 23-29، 32). لأن التابوت الذي كانت فيه ألواح العهد، كان يعني ما تعنيه شجرة الحيوات هنا، أي الرب والأشياء السماوية التي يملكها هو وحده. ولذلك غالباً ما يدعى الرب «إله إسرائيل الجالس على الكيروبيم»، ولذلك كلم موسى وهرون من «بين الكيروبيم» (خروج 25: 22؛ عدد. 7: 89). وهذا ما وصفه حزقيال. بوضوح:

> **ونزل مجد إله إسرائيل عن الكيروبيم الذي كان عليه، إلى عتبة البيت. ونادى الرجل اللابس الكتان. وقال له الرب: اجتز في وسط المدينة، في وسط أورشليم، وارسم علامة على جباه الذين ينوحون ويندبون على كل** الأرجاس **التي صنعت في وسطها. وقال لأولئك على مسمعي اجتازوا في المدينة وراءه واضربوا، لا تَرْثِ عيونكم ولا تشفقوا؛ اقتلوا الشيخ، والشاب،**

والعذراء، والطفل، والنساء حتى الفناء. وقال لهم: نجّسوا البيت، واملؤوا الديار من القتلى.

(حزقيال. 9: 3-7)

ويقول أيضاً:

وكلّم **الرجل اللابس الكتان وقال: ادخل بين العجلات تحت الكيروبيم، واملأ راحتيك جمر نار من بين الكيروبيم وارمه على المدينة؛ فدخل أمام عيني. وعندئذٍ مد واحد من الكيروبيم يده إلى النار التي بين الكيروبيم، وأخذ منها ووضع في راحتي اللابس الكتان...**

(حزقيال. 10: 2، 7).

يتضح من هذه المقاطع أن «الكيروبيم» يعني عناية الرب التي تحول دون وصول الناس إلى الأسرار الإلهية، ولذلك فإنهم يتمثلون في رغباتهم الجنونية، وهذا ما عبّرت عنه الكلمات: نار منثورة في المدينة، ولا «لا تشفقوا على أحد».

309. وكون الكلمات: «وبريق سيف متقلب» تعني حب الذات مع رغباتها وقناعاتها الجنونية التي قد ترغب بالدخول (إلى أسرار الإيمان)، لكن الأشياء الجسدية والزمنية هي التي تستهويها، يمكن أن تؤكده أماكن كثيرة في الكتاب المقدس، لكننا سوف نكتفي بالمقطع الآتي من سفر حزقيال:

يا بن البشر تنبأ وقل: هكذا قال السيد الإله: قل: السيف، السيف قد حدد وصقل، قد حدد ليذبح ذبحاً وصقل ليكون له بريق كالصاعقة. ويضاعف السيف ويثلث، السيف على القتلى، السيف لقتل كل عظيم، السيف الذي يخترق أحشاء مساكنهم. ولكي تذوب القلوب، ويتكاثر القتلى، سأجعل على كل بواباتهم سيفاً مرعباً، وأسفاه! **يبرق كالصاعقة.**

(حزقيال. 21: 9، 10، 14، 15).

ومن الواضح أن «السيف» يعني في هذا السياق، تدمير الإنسان لكي لا يرى أي شيء صالح وحق، لكي يرى الباطل فقط، وهذا ما عبرت عنه الكلمات: «ويتكاثر القتلى». كما تحدث ناحوم بدوره عن أولئك الذين يطمحون إلى دخول أسرار الإيمان:

يثب الفرسان، ويبرق السيف وتلمح الرماح، كثرة من القتلى، وأكوام من الجثث...

(ناحوم. 3: 3).

310. إن كل كلمة في هذه الآية تنطوي على أسرار هي من الكثرة بحيث يتعذر علينا الكشف عنها كلها. لكن هذه الأسرار تتوافق مع طباع الناس الذين هلكوا في الطوفان، ويختلف هؤلاء اختلافاً تاماً عن أولئك الذين عاشوا بعده. فأسلافهم الذين ألفوا الكنيسة الأولى كانوا أناساً سماويين، ولذلك زرعت فيهم البذرة السماوية؛ ومن هنا كان خلفاؤهم يمتلكون بذرة ذات منشأ سماوي. وتتصف هذه الأخيرة بكون المحبة هي التي توجه روح الإنسان كله وتوحده. لأن الروح البشري يتألف من جزأين: الإرادة والإدراك. والمحبة أو الخير ينتميان إلى الإرادة، بينما ينتمي الإيمان أو الحق إلى الإدراك؛ وعبر المحبة بلغ الأوائل ما ينتمي إلى الإيمان أو الحق، ولذلك كانت روحهم موحدة. وبقيت لدى ذرية هؤلاء البذرة ذات الأصل السماوي، لكنهم إذا ما حادوا عن الحق والخير فإن خطراً عظيماً سوف يحيق بهم، لأنهم يفسدون بذلك روحهم كلها إلى درجة يغدو عندها من شبه المستحيل إعادة إحيائها في الحياة الأخرى. والأمر مختلف بالنسبة للذين لا يمتلكون في ذاتهم بذرة سماوية، بل بذرة روحية فقط، كما هي حال الذين عاشوا بعد الطوفان والذين يعيشون اليوم. فليس لهؤلاء في ذاتهم، في داخلهم أي محبة، وهم بالتالي يفتقرون إلى الإرادة والخير، إلا أنهم قادرون على اكتساب الإيمان، أو إدراك الحقيقة، والوصول عبرهما إلى الرحمة وإن كان بطريق أخرى، وتحديداً عبر الضمير الذي يزرعه الرب فيهم عبر معرفة الحقيقة والخير. بالتالي فإن حالهم تختلف تماماً عما عليه الحال لدى الناس الذين عاشوا قبل الطوفان. ولا يعرف الجيل

الحالي أي شيء عن هذه الأسرار، لأن أحداً في يومنا هذا لا يعرف من هو الإنسان السماوي، أو من هو الإنسان الروحي، فما بالك بسمات الروح البشري وحياته، بالتالي وضعه بعد الموت.

311. ففي الحياة الأخرى لا يمكن للذين هلكوا في الطوفان أن يكونوا في عالم الأرواح، أو مع الأرواح الأخرى، بل سيكونون في جحيم منفصل عن الجحيمات الأخرى ومتوضع تحت جبل ما. وهذا الجبل الذي ليس سوى حاجز، هو ثمرة تخيلاتهم وقناعاتهم الرهيبة؛ وهذه الأخيرة تجعل الأرواح الأخرى في حالة ذهول عميق لا تعرف معها ما إذا كانت ميتة أم على قيد الحياة، لأنها تسلب كل إدراك للحقيقة، وعلى هذا النحو كل إدراك حسي. لقد كان الذين هلكوا في الطوفان يملكون قوة الاعتقاد عينها التي كانت لهم وهم على قيد الحياة الدنيا؛ وبما أنهم بقوا في الحياة الأخرى على الحال عينها، لذلك عجزوا عن الوجود مع الأرواح الأخرى من غير أن يتجددوا فيها حالة تشبه الموت، فقد هلكت كلها، ولكن رحمة الرب وحدها التي قادت الذين عاشوا بعد الطوفان إلى حالة مغايرة.

312. لقد وصفت هذه الآية حالة بشر ما قبل الطوفان وصفاً تاماً، وتحديداً: «طردهم»، أي إبعادهم عن الخير السماوي؛ و«إقامة الكيروبيم شرقي جنة عدن». ولا يمكن استخدام التعبير: «شرقي جنة عدن» إلا إذا كان الحديث يجري عنهم، لا عن أولئك الذين عاشوا فيما بعد، ولو كان الحديث يجري عن هؤلاء لكان قيل: «من جنة عدن نحو الشرق». وعلى النحو نفسه كان يجب أن يقال: «سيف بريقه متقلب» بدلاً من «بريق سيف متقلب»، ولقيل كذلك: «شجرة الحياة» وليس «شجرة الحيوات»، فما بالك بالسمات الأخرى التي لا يمكن شرحها. فهذه الأخيرة لا يفهمها سوى الملائكة الذين كشف الرب لهم عنها. إن كل وضع ينطوي على عدد لا متناه من الأسرار المحجوبة عن الجنس البشري.

313. ويتضح مما قيل عن الإنسان الأول هنا، أنه ليس هو المصدر الوحيد للشر المتوارث الموجود في الزمن الراهن، ويفترض الناس خطأ أنه ليس ثمة شر موروث آخر سوى ذاك الذي أورثه الإنسان الأول. لأن الحديث يجري هنا عن الكنيسة الأولى التي تدعى إنساناً. وكون الإنسان دعي «آدم» معناه أنه أخذ من

الأرض، أي مما ليس إنساناً، وقد أضحى إنساناً عبر تجدده الذي منحه الرب له. ومن هنا منشأ الاسم ومعناه. ولكن الوضع فيما يتعلق بالشر الموروث، هو على النحو الآتي: كل إنسان يقترف إثماً حقيقياً يستدعي طبيعة هذا الأخير إلى ذاته، فيزرع في أبنائه ويغدو متوارثاً. وهكذا فإن كل ما يرثه الإنسان عن والديه وأسلافه يتضاعف ويتنامى عبر توريثه لذريته وبقائه في كل إنسان؛ زد إلى هذا أن كلاً منهم يزيد عليه من آثامه الشخصية، ولكن الشر المتوارث يتبدد ولا يسبب أذى للذين يجددهم الرب. وكل من ينتبه يمكنه أن يعرف هذا من واقع أن ميول الوالدين الرديئة تظهر واضحة في أبنائهما، بحيث يمكن أن نميز بها عائلة عن الأخرى، بل جيلاً عن آخر.

obeikandl.com

متابعة

عن دخول الإنسان الحياة الأبدية

314. بعد أن تبدأ الروح التي وصلت لتوها تبصر النور وتجيل النظر فيما حولها، يقدم لها الملائكة الروحانيون الذين أشرنا إليهم سابقاً، كل عون صالح، كل حاجة يمكن أن تحتاجها في حالتها تلك، ويخبرونها بكل ما هو موجود في الحياة الأخرى، ولكن فقط ما هي قادرة على فهمه. وإذا كانت الروح مؤمنة وراغبة في ذلك، فإنهم يرونها عجائب السموات وروائعها.

315. ولكن إذا لم يكن القائم من الأموات راغباً في الإرشاد والتعلم، ويرغب في مغادرة معشر هؤلاء الملائكة فإنهم سرعان ما يدركون هذا، لأن كل الأفكار التي تؤلف التفكير البشري تغدو في الحياة الأخرى معروفة. ومع ذلك فإن الملائكة أنفسهم لا يتخلون عن الإنسان، لكنه ينأى عنهم. فالملائكة يحبون الجميع ولا يريدون سوى تقديم المساعدة الطيبة لجميعهم، وإيصالهم إلى السماء، ففي هذا العمل سعادتهم الكبرى.

316. وعندما تنفصل الروح الجديدة عن الملائكة، تستقبلها الأرواح الطيبة وتقدم لها بدورها شتى الخدمات ما دامت مقيمة في مجتمعها. ولكن إذا كانت الروح قد عاشت حياتها الدنيا وهي لا تطيق معشر الناس الصالحين، فإنها لا تلبث أن تغادر المكان لتبحث عن المعشر الذي يتوافق تماماً مع المعشر الذي عاشت فيه حياتها الدنيا. وبعد ذلك تعيش مثل هذه الروح، مهما بدا ذلك غريباً، عيشة كتلك التي عاشتها في الجسد. ولكن طوراً جديداً يبدأ بعد عودتها إلى مثل حياتها تلك. ومن هناك يمضي بعضها إلى الجحيم، لكن الذين يؤمنون بالرب يقادون خطوة خطوة إلى السماء مع بدء هذا الطور الجديد.

317. لكن بعضهم يقاد إلى السماء ببطء وآخرون أسرع. وكنت قد رأيت بعض الأرواح التي أصعدت إلى السماء بعد الموت مباشرة. وهاأنذا أسوق مثالين فقط.

318. لقد تقدمت إحدى الأرواح حتى دنت مني وحدثتني ودل بعض العلامات على أنها لم تترك الحياة الدنيا إلا منذ وقت وجيز. ولم تعرف الروح في بادئ الأمر أين هي، إذ اعتقدت أنها لا تزال على الأرض، ولكن حينما منحت معرفة أنها في الحياة الأخرى، وأنه لم يعد لها بيت ولا أرزاق أو ما شابه، انتابها القلق ولم تعرف ماذا تفعل وأين تجد مستقراً لها. عندئذٍ شرحوا لها أن الرب وحده يعطي كلاً كل ما هو ضروري. وقُدِّمت الروح لنفسها بالذات، لكي تستطيع أن تفكر كما كانت تفكر في الحياة الدنيا. ففكرت بما عليها أن تفعله بعد أن سلبت وسائل العيش. وبينما هي على هذه الحال من القلق، نقلت إلى ومعشر الملائكة السماويين المقيمين في محيط القلب والذين أولوها كل الاهتمام الذي تتمناه. ومرة أخرى قدمت الروح هنا لذاتها، وإذ أيقظتها الرحمة أخذت تفكر كيف يمكنها أن ترد الجميل، وهذا ما بيّن بوضوح أنها عاشت في الحياة الدنيا وملء قلبها الرحمة المنبثقة من الإيمان، ولذلك أصعدت إلى السماء فوراً.

319. ورأيت أيضاً آخر أصعد إلى السماء من فوره، وقد استقبله الرب، ومنح نعمة رؤية مجد السموات. وثمة أمثلة أخرى كثيرة عن إصعاد بعضهم إلى السماء بعد مضي بعض الوقت على وفاتهم.

obeikandl.com